للدعاة فقط

دعوة الإخوان

حقائق - شبهات - تمنيات

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

دار الدعوة
■ ١٢ ■
الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

للدعاة فقط

الطبعة الرابعة
١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م



دار الدعوة للنشر والتوزيع
ص.ب ٦٦٥٢٠ بيان 43756
ت: ٥٣٩٦٩٤٠ الكويت

مقدمة الطبعة «الرابعة»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلقه محمد الأمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. ثم أما بعد

فإنه من الطبيعي ألَّا يقتنع الجم الغفير بكل ما نذكر ونكتب، فالناس يتفاوتون في أفهامهم واستعداداتهم النفسية والفكرية، وكل مُيسر لما خُلق له وليس من الضرورة ذلك.

ومن هنا فلسنا نطلب استيعاب جميع المسلمين بل نرجو ممن اقتنع بما نطرحه في سوق الدعوة أن يتقبلهُ هدية منا خالصة، يتحرك بما يؤمن به ويسوق ما يراه مناسباً ، أما من لم ير فيما نعرضه فائدة وصواباً، فرجاؤنا أن يأخذ بمقولة العلماء: كلامنا حق يحتمل الخطأ وكلام غيرنا خطأ يحتمل الصواب. ولا نريد منهم أكثر من أن يعتقدوا باحتمال الصواب في قولنا ويعذرونا في اجتهادنا، فمن بذل الوسع وبحث لا يُحرم الأجر الواحد؛ ولكن إخواننا الذين اختلفوا معنا غفر الله لنا ولهم لم يسعهم ما ذكرنا فانهالوا علينا بالسباب والاتهام فغفرنا لهم ودعونا لهم بظهر الغيب راجين بذلك راية أولو الفضل، وهم يسير؛ نسأل الله أن نكون منهم؛ ونسيَ إخواننا أن ذكر الشبهة تقوية لها؛ لأن النفس البشرية مولعة بتصديق المثالب ونفي المناقب، ومنهج استخدام أسلوب الطعن لكسب الأنصار في الغالب يرجع على صاحبه كما قال المتنبي:

ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده ... تَصَيدَهُ الضرغام فيما تصيدا

كما أنني أرجو ألَّا يكون إخواننا كالأعرابي الذي قال في دعائه:
«اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً». (١)

ولا أكتم سراً أنني كنت قد عزمت على عدم إعادة طبع الكتاب لأكثر من أمر منها أن الكتاب قد طبع منه أكثر من خمسين ألف نسخة منذ طبعته الأولى إلى الآن في طبعته الرابعة، ومنها أنه أغاظ إخواننا في العقيدة فاستشاط غضبهم فأخطأوا في حق إخوانهم فبهتوهم وأساؤوا إليهم، ومنها أنني مضطر حين إعادة طباعة الكتاب أن أبين بعض الأخطاء التي قيلت في حق الكتاب من قبل بعض الناقدين، ومنها طبيعتي التي لا تحب الخوض في القيل والقال، وإعراضي عن هذا المنهج، وغير ذلك كثير، غير أن إلحاح صاحب المكتبة منذ فترة أن أسمح له بإعادة طباعة الكتاب لكثرة الطلب عليه ولنفاذ النسخ عنده واتصال الكثير من أصحاب المكتبات به، ولطلب كثير من المحبين أن أكتب بياناً وتوضيحاً لما ذكره الناقدون حتى لا تختلط الأوراق؛ لذا كانت هذه الطبعة وكنت أود أن أُصدرها بالتوضيحات حول ما كُتب، ولكن عزم عليَّ بعض الإخوة وصاحب المكتبة ألّا أُدخل على الكتاب ما ليس من أصله فينشغل فيه القارىء الذي لم يطلع على كلام الناقدين، وأن أجعل التوضيح في كراسة مُستقلة حيث لا ترابط بين أصل الكتاب وما أثير حوله، وبعد مشورة المحبين عزمت على أن أسمح للمكتبة بإعادة طبع الكتاب سائلاً الله تعالى أن أكون فيه ناصحاً أميناً، وقد أوردت عليه بعض التوضيحات التي يحتاجها المطَّلع على أوراقنا، ومن أراد الاستزادة فعنده رسالة الجلسات مع كتاب الوقفات.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحديث بنصه في البخاري (الفتح ١٠/٤٣٨ رقم ٦٠١٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

الشعور بالشرف العظيم والخير العميم بانتسابنا لهذا الإسلام العظيم الدين الحق المقبول عند الله يدفع إلى الإعتزاز به والغيرة عليه ، وحينما يوفق الله المسلم للعمل بهذا الاسلام والعمل له في طريق صحيح ، يتذوق المسلم لـذة الطاعـة ويعرف قيمة هذه النعمة وهذا الفضل من الله كما يحس بالغيرة على هذه الدعوة وهذا الطريق ، ويحرص على المحافظة عليه من أي خطأ أو انحراف أو سوء فهم ، ويتألم حينما يرى نيلا مغرضا منه أو تشكيكا فيه ، وقد ينفعل البعض في دفعهم لهذا التشكيك ودفاعهم عن دعوتهم وطريقهم ، وقد يرد البعض مـوضوعيـا وبهدوء وإقناع ، وهذا هو الأولى والأجدى .

وقد تعرض الأخ الفاضل جاسم مهلهل - بعد أن أكرمه الله بالسير في طريق الدعوة والإطمئنان إلى سلامة الطريق - تعرض إلى سماع بعض التشكيك والنيل بصورة أزعجته واستغرب صدورها من أصحابها وأشفق أن يتأثر بعض الشباب بها وتكون سببا في ابتعادهم أو اعتزالهم ، ففكر ودفعه ذلك إلى أن يكتب ما يحمي هذا الشباب من التأثر بهذا الأسلوب المثبط المشكك ، وقد رأى من تمام الأمر أن يعرض الطريق بأهدافه وخصائصه ومراحله ووسائله متكاملا من أصله ومما وضعه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله وذلك تحت عنوان « **لماذا الإخوان المسلمون** » ،حتى إذا تعرض بعد ذلك إلى التساؤلات أو التشكيكات في أي جزئية يسهل الرجوع إلى أصلها الماثل في الصفحات السابقة بما يساعد على تبين الحق من الزيف .

ولا شك أنه مما يَسُرُّ أمثالي ويسعدهم أن يجدوا من شباب الدعوة من ينبري بقلمه ولسانه لتوضيحها والذود عنها ، فهي الحقيقة دعوة كل مسلم وليست دعوة جيل بعينه لسبقه .

ونسأل الله أن يجازي الأخ الكريم / جاسم ، عن جهده ونيته وأن ينفع به وبما يكتب وأن يسدده دائما فيما يكتب وأن يحفظنا وإياه من الفتن . آمين .

مصطفى مشهور

للدعاة فقط

مقدمـــة :

من المسلّم به لكل طالب علم أن مرتبة الدعوة إلى الله من أعلى وأرفع المراتب وأفضل القربات ، ولم لا ؟ وهي مهمة الأنبياء ، وطريق الرسل والأولياء ، وبها تنتشر الرحمات وتزال الضلالات .

ولـذلـك كثـرت الآيـات البينـات ، وتـوجيهـات الأحـاديث الصحــاح الواضحات :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(1) .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . ﴾(2) .

وقال ﷺ موضحا : ـ

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » (3) .

---

(1) آل عمران ١٠٤ .

(2) آل عمران ١١٠ .

(3) الترمذي وقال حديث حسن .

فهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله : يدعون من ضل إلى الهدى ، ويُبَصِّرُونَ من هَمَّ على الأذى . . يُحْيُونَ بكتاب الله الموتى ، وَيُبَصِّرُون بنور الله العمي ، فكم من قتيل لإبليس أَحْيوه وكم من ضِال تائه وقد هدوه[1] .

ولذلك استحقوا أن تصلي عليهم النملة في جحرها والحيتان في البحر . . . فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء ، بهم يهتدي الحيران في الظلماء ، ولم لا ؟ وهم القائمون بالتبليغ عن الله الآخذون بمهمة الأنبياء بعد طَيِّ سجل الرسل بمحمد ﷺ وانقطاع الوحي من السماء . ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾[2] .

من هذا المنطلق كانت هذه الرسالة ممارسة في تخصيص الدعاة ببعض الأطروحات والكتابات لتكون نوعاً من التكريم لهم ، وبياناً ونبراساً لمن أراد المسير في طريق الأنبياء ، أسأل الله العلي القدير أن ينفع بها الحيارى من الدعاة الباحثين عن الحق في أوساط الجماعات ، وأن يغفر لي الزلات ، ويقيني شر الملامات .

وستحتوي هذه الرسالة على حقيقة بعنوان « لماذا دعوة الإخوان المسلمين » وسينقسم البحث إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ حقيقة دعوة الإخوان المسلمين .

٢ ــ شبهات وردود .

٣ ــ أمنيات في العمل الإسلامي .

وفي هذا المبحث عمدت إلى بيان ما يتعلق بالحركة من خصائص ومميزات

---

(١) إعلام الموقعين .

(٢) البقرة ١٤٣ .

هيأتها لتكون دعوة عـالمية تستقـطب الشباب ، وتكتسـح الأفكار والأطـروحات الموجودة .

ثم ذكرت قواعد عامة في الرد على الشبهات التي تحاك وتقال عن الإخوان المسلمين ، وتعرضت لبعض الصور من الشبهات والرد عليها .

وعرجت بعد ذلك على بعض التمنيات التي أرجو أن تتأصل في حركة الإخوان عند وجودها ، وأن تبحث من حيث موافقتها للمنهج أو عدمه عند عدم وجودها في برنامج الحركة ، فإن كانت موافقه للمنهج أُخذ بها ، وإلا فيُسدل عليها الستار .

أبو معاذ

الطبعة الثانية

غرة رمضان سنة ١٤٠٦



لماذا دعوة الاخوان المسلمين

سيكون بحثناهذا في إطار ثلاثة أقسام إن شاء الله :

القسم الأول : حقيقة دعوة الإخوان المسلمين .
القسم الثاني : شبهات وردود .
القسم الثالث : تمنيات في العمل الإسلامي .

القسم الأول : حقيقة دعوة الإخوان المسلمين :

هنا سأجتهد في بيان أمور لا لبس فيها ، تبين جلاء هذه الدعوة ، مقتصراً بقدر الإمكان على كلام مؤسس الحركة الشيـخ حسن البنا رحمه الله ، وسيكون الحديث حول الموضوعات الآتية :

((١) أهداف وخصائص دعوة الإخوان .
(٢) وسائل إيجاد الخصائص وتحقيق الأهداف .
(٣) المنهج العقيدي والفقهي عن الإخوان .
(٤) مواقف الإخوان من الآخرين .
(٥) الإخوان المسلمون وقضية المرأة .
(٦) الإخوان المسلمون والجهاد .
(٧) الإخوان المسلمون والسياسة .
(٨) أثر دعوة الإخوان .
(٩) النموذج البشري الذي تعده حركة الإخوان .
(١٠) الخاتمـــــــة .

القسم الثاني : شبهات وردود :

سيكون فيه ذكر بعض الشبهات التي تطلقها بعض الأبواق المهتمة بنهش لحوم البشر ، وبعض الأصول العامة والخاصة المستعملة في الرد عليهم ، ، وحقيقة ما كان الإنسان يود أن يضع دعوة الإخوان في قفص الإتهام ويقوم بالرد والدفاع عنها ، ولكن قصور إطلاع جمهور المسلمين وسرعة تأثرهم بالشبه هي التي دعت لذلك .

القسم الثالث :ـ تمنيات في العمل الإسلامي :

هي تمنيات في النفس نتوجه إلى الله ببعضها ، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يؤصل ما هو موجود ، ويُنمي ما هو في بداياته ، وما هو جديد إن كان خيراً أُخذ به وإن لم يكن كذلك ضُرب به عرض الحائط .

لماذا دعوة الإخوان المسلمين

القسم الأول ـ حقيقة دعوة الإخوان المسلمين

المقدمــة :ـ

إنها تساؤلات تطرح في صفوف أهل الدعوة . . .

لماذا دعوة الإخوان المسلمين ؟؟

لماذا دعوة الإخوان المسلمين هي التي يتآمر عليها الشرق والغرب !؟

لماذا دعوة الإخوان المسلمين هي التي لا تنطفىء شمعتها ؟؟

لماذا دعوة الإخوان المسلمين هي الدعوة التي يدخل فيها الشباب رغم ما يعرفون عن صعوبة طريقها ؟

لماذا هي التي يغتاظ منها أصحاب البحث عن الذات ؟

لماذا هي التي تتحرك الدول الكبرى لضربها حيث إنه في المؤتمر الذي عقد في فايد في نوفمبر سنة ١٩٤٨ بين قناصل بعض الدول الغربية (انجلترا ـ وفرنسا ـ وأمريكا) طلبوا من السفير البريطاني أن يطلب من النقراشي إصدار قرار بحل جماعة الإخوان ، وأن المأجور : ج اوبريان السكرتير السياسي للقائد العام للقوات البرية البريطانية في الشرق الأوسط ومقره « فايد » أرسل خطابا إلى إدارة المخابرات التابعة للقيادة العامة للقوات البريطانية في مصر وشرقي البحر المتوسط يخطرها فيها بما دار في اجتماع السفراء والنتيجة التي انتهى إليها ، وأخطرهم أنه ستتخذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية في القاهرة لحل جمعية الإخوان .

لهذه التساؤلات ، ولأن هناك أناسا يجهلون دعوة الإخوان ، وأناسا

عواطفهم متضاربة مع اتجاههم ، فهم مشفقون عليهم ،وغير واثقين بقدرتهم ، مشفقون أن يفعلوا ، ويائسون من أن يفعلوا خائفون ومشفقون أن تتعثر الدعوة ثم تنحسر ، ومن ثم يأخذ هؤلاء دورهم كمثبطين ومعوقين بحجة الإشفاق .

لهذا كله ، ولأن هناك أعدادا كبيرة من الشباب تنتظر من يبين لهم الطريق الـذي يعملون فيه ومن خلاله على بينة ووضوح . . .

لهؤلاء جميعا ، ولمن أراد أن يضع قدمه على الطريق كان هذا الموضوع الذي يزيل الإيهام عما ورد على ألسنة الأنام .

صـ ١٨ ـ ٥٢

خصائص دعوة الإخوان

حقيقة دعوة الإخوان المسلمين

١ الخصائص نوعان ١

* أهداف وخصائص دعوة الإخوان :ـ

أولا : ـ قوة الرباط الإيماني في الدعوة المبني على الأخوة :

وهذا الأمر يذكره الأستاذ حسن البنا رحمه الله في الركن التاسع فيقول متحدثا عن رباط الأخوة :ـ

والمراد من الأخوة : أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة ، والعقيدة أوثق الروابط وأعلاها ، والأخوة : أخوة الإيمان ، والتفرق : أخو الكفر .

وأول القوة قوة الوحدة ، ولا وحدة بغير حب ، وأقل الحب سلامة الصدر ، وأعلاه مرتبة الإيثار . ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١] .

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره (وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)[٢] و (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[٣] . ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٤] .

---

(١) الحشر ٩ .

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٩٦ و٦/٤٤٦) وأبو داود (٥٤٧) ، والنسائي (٢/٨٢ ـ ٨٣) وصححه ابن خزيمة (١٤٨٦) وابن حبان (موارد ٤٢٥) والحاكم (١/٢٤٦) والذهبي والنووي في المجموع (٤/٤٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٧٧) .

(٣) أخرجه البخاري (فتح ١٣/٥٨) ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري .

(٤) التوبة : ٧١ .

ثم عمد الإخوان إلى الأخذ بأسباب بقاء الإخاء ودوامه وهي طاعة الله عز وجل ، فلا شيء يديم الإخاء مثل طاعة الله والبعد عن معصيته فالإخاء القائم على التقوى يستمر في الدنيا والآخرة قال تعالى :

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] كما أنه لا شيء يمنع تصدع الإخاء مثل الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.[2] لذلك ترى أن عدو الله إبليس يغيظه الحب والأخوة بين الداعين إلى الله ويحاول أن ينزغ بينهم ، فعلى الإخوان أن يقولوا التي هي أحسن وألا يفسد الخلاف في الرأي بينهم الود والمحبة .

ثانياً : ـ قوة الرباط التنظيمي المبني عل الثقة :

وهذا الرباط يبينه الأستاذ البنا رحمه الله في الركن العاشر فيقول :ـ

المراد من الثقة :ـ اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانا عميقا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾[3] .

والقائد جزء من الدعوة ، ولا دعوة بغير قيادة ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة النظام للجماعة ، وإحكام خططها ، ونجاحها في الوصول إلى غاياتها ، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب .

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾[4] .

---

(١) الزخرف : ٦٧ .
(٢) سورة ص : ٢٤ .
(٣) النساء : ٦٥ .
(٤) محمد : ٢٠ ، ٢١ .

وفي مجال الحديث عن الثقة لابد من ذكر :ـ

(أ) الأخطاء في بناء الثقة :ـ

١ ــ مطالبة القيادات لأفرادها بالثقـة دون أن تؤدي مهرها ، فالثقة بالقيادة لا تأتي من خلال المطالبة بقدر ما تأتي من خلال شعور الجندي بكفاءة قيادته وجدارتها وحكمتها من خلال الاحتكاك والممارسة والمواقف اليومية .

٢ ــ ومن أخطاء بعض القيادات كذلك أنها لا تستطيع تنمية الثقة ، ومـن ثم كلما زاد الاحتكاك بها تقلصت الثقة ، وذلك يعود إما لجهلها بالتعامل مع النفس البشرية ، أو لقصورها في نفسها ، أو لعجزها عن تربية الذين يحيطون بها ويحتكون بها .

(ب) أمور تعين على بناء الثقة :ـ

١ ــ ألا تُعطى صفة لأحد داخل الجماعة دون أن يستحقها .

٢ ــ شعور كل فرد في الحركة بصحة القرارات وسلامـة السير ودقتـه ، وهذا يقتضي تعليل القرارات من القيادة إلا لضرورة أمنية .

ثالثا : ـ التكامل في البناء :

تتميز دعوة الإخوان بطبيعة خاصة يعبر عنها الشيخ حسن البنـا رحمه الله فيقول :ـ

(لسنا حزبا سياسيا ، وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا ، ولسنا جمعية خيرية إصلاحية ، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا . ولسنا فرقة رياضية ، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا . ولسنا شيئا من هذه التشكيلات ، فإنها جميعا تخلقهـا غايـة موضعيـة

محدودة لمدة معدودة ، وقد لا يوحي بتأليفها إلا مجرد الرغبة في تأليف هيئة والتحلي بالألقاب الإدارية فيها .

ولكننا أيها الناس : فكرة وعقيدة ، ونظام ومنهاج لا يحدده موضع ، ولا يقيده جنس ، ولا يقف دونه حاجز جغرافي ، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ذلك لأنه نظام رب العالمين ، ومنهاج رسوله الأمين .

وعلى ذلك فهي دعوة في طبيعتها تكامل ، وفي أهدافها شمول ، فهي لا تقتصر من الإسلام على جانب دون جانب ، ولا تضخم جانبا على حساب آخر وكذلك فهي ليست محدودة الأهداف ، فهدفها يبدأ من تربيـة الفـرد ، وينتهي بإقامة الحكم ، ثم الإنطلاق في الأرض لإعلاء دين الله وكذلك يتمثل شمول دعوة الإخوان في اتصالها بالناس ودعوتهم ، فهي تخاطب عقولهم بالحجة والفكر ، كما تخاطب قلوبهم بنفض ما ران عليها من ركام ، وبتذكيرها بربها وصفاته ، وتعميق إحساسها بالآخرة ، كما تخاطب فطرتهم بما فيها من إيمان فطري ، وصلة فطرية بالإسلام .

رابعا : البعد عن مواطن الخلاف :

فأما البعد عن مواطن الخلاف الفقهي فلأن الاخوان يعتقدون أن الخلاف في الفرعيات أمر ضروري لابد منه ، إذ أن أصول الإسلام آياتٍ وأحاديثَ وأعمالاً تختلف في فهمها وتصورها العقول والأفهام . لهذت كـان الخلاف واقعـا بين الصحابة أنفسهم ، وما زال كذلك وسيظل إلى يوم القيامة، وما أحكم الإمام مالك رضي الله عنه حين قال لأبي جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ : **(إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار ، وعند كل قوم علم فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة)** وليس العيب في الخلاف ولكن العيب في التعصب للرأي والحجر على عقول الناس وآرائهم . هذه النظرة إلى الأمور الخلافية جمعت القلوب

المتفرقة على الفكرة الواحدة ، وحسب الناس أن يجتمعوا (على ما يصير به المسلم مسلما : كما قال زيد رضي الله عنه ،و وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة يريدون أن ينشروا فكرة في بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى للجدل ولا للخلاف فيها .

خامسا : البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان :

وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيـان فلانصـرافهم عن هذه الـدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء إلى الدعوات القائمة التي تستتبع المغانم وتجر المنافع ، ولو في ظن الناس لا في حقيقة الحال ، ولأننـا معشر القـائمين بـدعوة الإخوان تعمدنا هذا لأول عهد الدعوة بالظهور حتى لا يطمس لونها الصافي لون آخر من ألوان الدعوات التي يروج لها هؤلاء الكبراء ، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها أو يوجهها في غير الغاية التي تقصد إليها ، وذلك إلى أن كثيرا من العظماء ينقصه الكمال الإسلامي الذي يجب أن يتصف به المسلم العادي فضلا عن المسلم العظيم الذي يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس ، وعلى هذا فقد ظل هذا الصنف بعيدا عن الإخوان اللهم إلا قليلا من الأكرمين الفضلاء يفهم عن فكرتهم ويعطف على غايتهم ويشارك في أعمالهم ويتمنى لهم التوفيق والنجاح .

سادسا : البعد عن الهيئات والأحزاب :

وأما البعد عن الاتصال بالأحـزاب والهيئات فلما كـان ولا يزال بـين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذي لا يتفق مع أخوة الإسلام ، ودعوة الإسلام عامة تجمع ولا تفرق ولا ينهض بها ويعمل لهـا إلا من تجرد من كـل ألوانـه وصار لله خالصا ، وكان هذا المعنى من قبل عسيرا على النفوس الطامحة التي تريد أن تصل عن طريق حزبيتها أو جماعتها إلى ما تريده من جاه ومال ، لهذا آثرنا أن نتجنب

الجميع وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء ، ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان .

ونحن الآن ـ وقد اشتد ساعد الدعوة ـ وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجِّه ولا توجَّه ، وأن تُؤثِرَ ولا تَتَأثَرَ ، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا ، وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التي لا غناء فيها ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ، ويستظلوا براية النبي الكريم ومنهاج الإسلام القويم ، فإن أجابوا فهو خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وتستطيع الدعوة بهم أن تختصر الوقت والجهود ، وإن أَبَوْا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلا ، وأن نلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم ، ويسقط في أيديهم ، ويضطرون إلى العمل للدعوة أذنابا وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

سابعا : التدرج في الخطوات :

التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات منهج واضح في طريق الإخوان المسلمين ـ وذلك لأنهم اعتقدوا أن كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث : مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب ، ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين ، ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج . ويلاحظ في المسيرة الربانية أن كثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنبا إلى جنب نظرا لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعا ، فالداعي يدعو ، وهو في الوقت نفسه يتخير ويربي وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك .

ولكن لاشك أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم

الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين . وفي حـدود هذه المـراحل سـارت دعوة الإخوان ولا تزال تسير ، فقد بدأت الدعوة في توجيه الأمة من خلال دروس متتالية في رحلات متلاحقة وفي مطبوعات كثيرة وفي حفلات عامة وخاصة ، وفي جريدة الإخوان المسلمين الأولى وفي مجلة النذير الأسبوعيـة ، ولا زالوا يدعون وسيظلون كذلك حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الإخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة وعلى وجهها الصحيح ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

ثم بعد ذلك يخطون الخطوة الثانية : خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة . وهذه الخطوة الثانية تعرض في صور ثلاث : (الكتائب) ويراد بها تقوية الصف بالتعارف وتمازج النفوس والأرواح ومقاومة العادات والمألوفات والمران على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى واستمداد النصر منه ، وهذا هو معهد التربية الروحيـة للإخوان المسلمين ـ ثم (الفرق) للكشافة والجوالة والألعاب الرياضية .

ويراد بها تقوية الصف بتنمية أجسام الإخوان وتعويدهم الطاعـة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة وإعدادهم للجندية الصحيحة التي يفرضها الإسلام على كل مسلم وهذا هو معهد التربية الجسمية لـلإخوان المسلمـين ـ ثم (درس التعاليم) في الكتائب أو في أندية الإخوان المسلمين ـ ويراد به تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم لمعرفة دينه ودنياه وهذا هو معهد التربية العلمية والفكرية للإخوان المسلمين .

ذلك إلى مختلف نواحي النشاط الأخرى التي يُدرَّب عليها الإخوان استعداداً للواجب الذي ينتظرهم كجماعة تعد نفسها لقيادة أمة بل لهداية العالمين ثم بعد أن تطمئن على موقفها من هذه الخطوة تخطو بمشيئة الله الخطوة الثالثة ، وهي الخطوة العملية التي تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الإخوان المسلمين[1] .

---

(١) مجموع رسائل حسن البنا ص ٢٥١ بتصرف .

ثامنا : أنها دعوة ربانية :ـ[1]

لأن أهداف الجماعة تدور حول إرجاع الناس إلى ربهم سبحانه وتعالى محققين بذلك هتافهم (**الله غايتنا**) .

تاسعا : أنها دعوة عالمية :

لأنها تدعو الناس جميعا في المشرق والمغرب للرجوع إلى منهج الله كما خاطب النبي ﷺ الجميع في قوله (**أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**)[2] .

هذه بعض خصائص دعوة الإخوان التي تواكبها أهداف الحركة التي نذكر منها :

هدف الإخوان في العموم :

يقول الأستاذ البنا : والخلاصة نحن نريد الفرد المسلم والبيت المسلم ، والشعب المسلم ، والحكومة المسلمة ، والدولة التي تقود الدول الإسلامية ، وتضم شتات المسلمين ، وتستعيد مجدهم وترد عليهم أرضهم المفقودة ، وأوطانهم المسلوبة ، وبلادهم المغصوبة ، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله حتى

(١) مجموع الرسائل ص ٦٣ .

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٧١) حدثنامحمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الأشعث بن سليم قال : «سمعت رجلا في إمرة ابن الزبير قال : سمعت رجلا في سوق عكاظ يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحو ورجل يتبعه يقول : إن هذا يريد أن يصدكم عن آلهتكم ، فإذا النبي ﷺ وأبو جهل » .
وأخرجه أحمد (٥/٣٧٦ و٤/٦٣) من طريق شيبان عن أشعث قال حدثني شيخ من بني مالك بن كنانة قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفحلوا » وهذا إسناد صحيح وأخرجه أحمد (٣/٤٩٢ و٤/٣٤١) والطبراني في الكبير (٤٥٨٢) من طرق عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : أخبرني ربيعة بن عباد الديلي قال : « رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : . . . فذكره ». رواته ثقات غير عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد كما في « التقريب » .

تسعد العالم بتعاليم الإسلام، ثم يقول الأستاذ رحمه الله : اذكروا دائما أن لكم هدفين أساسيين :

(١) أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد .

(٢) أن يقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة إلى الناس وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعا آثمون مسئولون بين يدي الله العلي الكبير عن تقصيرهم في إقامتهم وقعودهم عن إيجادها .

هذا في العموم أما على التفصيل فإليك البيان :

١ ــ تصحيح فهم المسلمين لدينهم ، وشرح دعوة القرآن الكريم شرحا واضحا ، وعرضها عرضا كريما يوافق روح العصر ، ويكشف عما فيها من روعة وجمال ويرد عنها الأباطيل والشبهات .

٢ ــ جمع المسلمين عمليا على مباديء كتابهم الكريم بتجديد أثره البالغ القوي في النفوس .

٣ ــ خدمة المجتمعات وتنقيتها بمحاربة الجهل والمرض والفقر والرذيلة ، وتشجيع البر والنفع العام في أية صورة .

٤ ــ الاهتمام بالأسرة وذلك عن طريق الإلزامات الآتية :

أ ــ لابد لكل أخ من أي يعطي اهتماما خاص لبيته سواء أكان زوجا أو أخا أو ابنا .

ب ــ لابد للجماعة من أن تعطي العمل النسائي حقه من خلال نشر الكتاب ، ومن خلال إقامة الحفلات والحلقات النسائية العامة والخاصة ، ومن خلال التكوين العالي للأخوات المسلمات .

ج ـ لابد لكل أخ من أن يتخذ الزوجة الصالحة .

د ـ يقوم كل أخ بربط أبنائه وبناته وإخوانه وأخواته بأجهزة الجماعة .

هـ ـ قيام الجماعة بإنشاء أجهزة لازمة لتغطية كل هذه الشئون ، من جهاز لرعاية شئون الأبناء في كل شعبة إلى جهاز لتغطية العمل النسائي في كل شعبة إلى جهاز خاص لتكوين الأخوات المسلمات في كل مركز إلى جهاز خاص في المركز يتلقى الأبناء إذا تجاوزوا مرحلة معنية .

و ـ حرص الجماعة على تحرير بيوتهم من كل مخالفة وعلى منع التنافس الدنيوي بين نساء الإخوان وتشجيع مظاهر الزهد .

ز ـ تقوم الجماعة بإنشاء الحلقات المسجدية النسائية وتؤمن لها مدرسات نشيطات صالحات ومدرسين صالحين .

ح ـ تقوم الجماعة بالعناية بالكتب النسائية فتختار ما هو صالح وتكلف بالتأليف وتطبع وتضع أنواعا من الكتب النسائية تحت تصرف المرأة والبنت المسلمة وتحرص على إيجاد المكتبة الإسلامية ، فالبيت المسلم لن يوجد فقط من خلال توجيهالزوج أو الأب أو الابن بل يوجد من خلال هذا ومن خلال إيجاد البيئات المناسبة والرعاية المتكاملة .

ط ـ تقوم الجماعة بقدر المستطاع على تشجيع الزواج المبكر والعمل على الإصلاح الفردي الذي سيكون له أثره الطيب في الأسرة ، فما الأسرة إلا مجموعة أفراد فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة ، وهما عماد الأسرة استطاعا أن يكونا بيتا نموذجيا على القواعد التي وضعها الإسلام .

وقد وضع الإسلام قواعد البيت فأحكم وضعها من حيث إنه :

ـ أرشد إلى حسن الاختيار للزوجة .

ـ وبين أفضل الطرائق للارتباط .

ـ وحدد الحقوق والواجبات .

ـ وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تنبع وتنضج في غير عبث ولا إهمال .

ـ وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج .

ـ واختط في كل نظرية للأسرة طريقة وسطا لا تفريط فيه ولا إفراط .

فالإخوان يريدون البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه ، ولهذا يعنون بالمرأة عنايتهم بالرجل ، ويعنون بالطفولة عنايتهم بالشباب ، وهذا هو هدفهم في تكوينهم الأسري المنشود .

٥ ـ الاهتمام بتكوين الأمة المسلمة :

ليس من شك أنه إذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة فما الأمة إلا مجموعة أسر ، وإنما الأسرة أمة مصغرة ، والأمة أسرة كبيرة ، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الاجتماعية السعيدة .

لذلك فالإخوان يريدون الشعب المسلم ، فالأمة المسلمة ، ويعملون على توصيل هذه الدعوة إلى كل بيت ، وأن يسمع صوتهم في كل مكان وأن تنتشر الفكرة وتتغلغل في القرى والمراكز والحواضر والأمصار ، وهم بذلك لا يألون جهدا ولا يتركون وسيلة يرضى عنها الله ورسوله .

ولهذه الأهداف يجمل الشيخ ! المربي حسن البنا رحمه الله فيقول :

مهمتنا نحن الإخوان المسلمين ! أما إجمالا فهي : أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات ـ حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا ، ولسنا واقفين عند هذا الحد ، بل سنلاحقها في أرضها ، وسنغزوها في عقر دارها حتى يهتف العالم كله باسم النبي ﷺ ، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن ، وينشر ظلال الإسلام الوارف على الأرض ، وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده ، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، **ثم يقول** : وأول

واجباتنا نحن الإخوان أن نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينة لا زيادة فيها ولا نقص بها ، ولا لبس معها وذلك هو الجزء النظري من فكرتنا ، وأن نطالبهم بتحقيقها ونحملهم على إنفاذها ، ونأخذهم بالعمل بها ، وذك هو الجزء العملي من هذه الفكرة . . وسيكون شعارنا الدائم : الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا . . إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات ، فنحن نعلم تماما ماذا نريد ، ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة : **نريد أولا الرجل المسلم . . ونريد بعد ذلك البيت المسلم . . . ونريد بعد ذلك الشعب المسلم .. ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة** .

ونحن لهذا لا نعترف بأي نظام حكومي ، لا يرتكز على أساس الإسلام ، ولا يستمد منه ، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره وتكوين الحكومة الإسلامية على هذا النظام . . ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسة الغربية . . ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خفاقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حينا من الدهر .

نريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم ، وأن نبلغ الناس جميعا ، وأن نعم بها آفاق الأرض ، وأن نخضع لها كل جبار ، حتى لا تكون فتنةويكون الدين كله لله . . . ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتهاوفروعها ووسائلها . وإنما نجمل القول دون إطالة ولا تفصيل .

وهذا الذي ذكرناه يمثل غيضا من فيض من خصائص الحركة وأهدافها .

وسائل تحقيق الغايات عند الإخوان ٢٩-٣٤

* وسائل إيجاد الخصائص وتحقيق الأهداف :

إن وسائل تحقيق هذه الأهداف التي ذكرناها يقول فيها الأستاذ حسن البنا رحمه الله :

(الوسيلة في تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات ، وخلاصة ذلك جملتان : (إيمان وعمل ، ومحبة وإخاء) .

(ماذا فعل رسول الله ﷺ أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة) .

وفي مكان آخر يقول : (والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور .

(١) الإيمان العميق (٢) التكوين الدقيق (٣) العمل المتواصل .

وفي مكان آخر يتحدث عن أركان الوسيلة فيذكر منها ثلاثة :

(١) المنهاج الصحيح . (٢) المؤمنون العاملون . (٣) القيادة الحازمة الموثوق بها) .

ومن استعراضنا لهذه النقاط السريعة ندرك المهمة الكبرى الأولى وهي عملية التجديد في الأمة الإسلامية . كما ندرك واحدا من أهم ما تحتاجه هذه العملية وهي في تعبير الأستاذ البنا (القيادة الحازمة الموثوق بها) فإن كل عمل ينطلق من غير هذه البداية هو عمل يفقد القابلية للبقاء والاستمرار فضلا عن القيادة القادرة على التجديد والتحقيق والنقل والقيام بالواجبات كلها بحيث تسع احتياجات الجماعة والأمة ، لذا فإن البحث عن العناصر القيادية الإسلامية وتأهلها وإعطائها دورها شيء أساسي وهام في العمل الإسلامي ويجب أن يتقن الطريق إليه إتقانا كاملا .

وهذه القيادة عليها أن تحقق الإيمان العميق وأن تتولى عملية التكوين الدقيق وأن تعتاد العمل المتواصل على ضوء المنهاج الصحيح وبالتعاون مع المؤمنين العاملين .

هذه هي الوسائل في عمومها أما على التفصيل فهي :

(١) الإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأي العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان . .

(٢) استخلاص العناصر الطيبة لتكون هي الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح .

(٣) النضال الدستوري حتى يرتفع صوت هذه الدعوة في الأندية الرسمية وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية ، وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجيء الوقت المناسب إلى الأمة ليمثلوها في الهيئات النيابية ، ونحن واثقون بعون الله من النجاح مادمنا نبتغي بذلك وجه الله **(ولينصرن الله من ينصره ـ إن الله لقوي عزيز)**[١]

(٤) المنهاج الصحيح ـ وقد وجده الإخوان في كتاب الله وسنة رسوله ، وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات فيعكفون على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واسعة مستوعبة .

(٥) العاملون المؤمنون ـ ولهذا أخذ الإخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقا لا هوادة فيه ولا لين ، وهم بحمد الله يؤمنون بفكرتهم مطمئنون إلى غايتهم واثقون بتأيد الله إياهم ما داموا له وعلى هدى رسول الله ﷺ يسيرون .

(٦) القيادة الحازمة الموثوق بها ، وقد وجدها الإخوان المسلمون كذلك فهم لها مطيعون ، وتحت لوائها يعملون .

وهنا لابد من ذكر حقيقة وهي أنه : قد تكون إلى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية أخذوا بها ، منها السلبي ، ومنها الإيجابي ، ومنها ما يتفق مع عرف الناس ، ومنها ما يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه ، ومنها مافيه لين، ومنها ما فيه شدة وذلك كله حتى يضمن النجاح بمشيئة الله ، لذلك قد يُطلب من الإخوان أن

---

(١) سورة الحج : آية ٤٠

يخالفوا عادات ومألوفات وأن يخرجوا على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها ، فالدعوة في حقيقة أمرها ليست إلا خروجا على المألوف وتغييرا للعادات والأوضاع .

وخلاصة الأمر تبين أن :

غاية الإخوان الأساسية . . وهدف الإخوان الأسمى . . والإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم : إصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الأمة جميعا وتتجه نحوه الأمة جميعا ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل .

فالإخوان المسلمون يهتفون بدعوة ، ويؤمنون بمنهاج ، ويناصرون عقيدة ، ويعملون في سبيل إرشاد الناس إلى نظام اجتماعي يتناول شؤون الحياة جميعا اسمه (الإسلام) . . نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون به من المنذرين بلسان عربي مبين . . ويريدون بعث الأمة الإسلامية النموذجية التي تدين بالإسلام الحق فيكون لها هاديا وإماما ، وتعرف فيه الناس بأنها دولة القرآن التي تصطبغ به ، والتي تذود عنه ، والتي تدعو إليه ، والتي تجاهد في سبيله ، وتضحي في هذا السبيل بالنفوس والأموال .

ثم أن هذه الوسائل تحتاج إلى صبر ومصابرة وبذلك يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله : (إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده . ولست مخالفا هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول . أجل قد تكون طريقا طويلة ولكن ليس هناك غيرها إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين فإما النصر

والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة) .

وهذا الصبر يجب ألا ينتهي إلى اليأس ، لذلك قال الشيخ حسن البنا رحمه الله :

أيها الإخوان المسلمون :

لا تيأسوا ، فليس اليأس من أخلاق المسلمين ، وحقائق اليوم أحلام الأمس ، وأحلام اليوم حقائق الغد ، ولا زال في الوقت متسع ، ولازالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد ، والضعيف لا يظل ضعيفا طول حياته ، والقوي لا تدوم قوته أبد الآبدين : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1] .

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام ، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة ، وإن العالم ينتظر دعوتكم دعوة الهداية والنور والسلامة لتخصله مما هو فيه من آلام ، وإن الدور عليكم في قيادة الأمم وسيادة الشعوب ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وترجون من الله ما لا يرجون ، فاستعدوا واعملوا اليوم فقد تعجزون عن العمل غدا .

لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان ، وإني لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2] .

وإلى الأمام دائما ، والله أكبر ولله الحمد .

---

(١) سورة القصص : آية ٥

(٢) سورة العنكبوت : آية ٦٩

وبهذا يقول الشيخ سعيد حوى حفظه الله : (لقد وضع الإمام البنا قواعد للفهم وقواعد للتربية وقواعد في التنظم وقواعد في الاستراتيجية والحركة .

وأبقى الباب مفتوحا بعد ذلك لأنواع من الاختلافات في وجهات النظر لا تضر وحدة الجماعة ما دام هناك التزام بتلك القواعد ، وما دام الاختلاف منضبطا فيها . . وبهذا وأمثاله استطاع البنا رحمه الله أن يقيم بناء يتوسع على الزمان لقد استطاع البنا رحمه الله أن يوحد الإطار الكلي الذي يضم المسلمين جميعا فكرة وتنظيما ، واستطاع أن يجمع بين الأفكار الصالحة كلها وينفي الأفكار الخاطئة كلها فجمع في دعوته ما تفرق عند غيره من خير ، وأبعد عنها ما يوجد في غيرها من شر أو دخن) .(١)

ولذلك كان إعجاب سيد قطب رحمه الله متركزا بصورة خاصة على عبقرية البناء عند الشيخ المربي حسن البنا رحمه الله وبصورة أشد في ناحيتين مهمتين :

(١) في البناء النفسي المتوازن لأعضاء الحركة بأيجاد النسب المتكافئة بين العلم والروح والحركة من جهة ، وبين المدارس الإسلامية المتخصصة من جهة ثانية .

(٢) وفي البناء التنظيمي للجماعة وقد كان هذا البناء هو الأول من نوعه في العالم بالنسبة للعمل الجماعي المتجسد بصورة (حزب إسلامي) .

* المنهج العقدي والفقهي عند الإخوان :

هو منهج سلفي صرف لا غبار عليه ، ويتبين ذلك من قول الشيخ حسن البنا رحمه الله في الأصول العشرين ، ففي الأصل السادس يقول رحمه الله :

(وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ وكل ما جاء عن

---

(١) جولات في الفقهين الكبير والأكبر سعيد حوى ص ٨٠ الطبعة الأولى دار الأرقم .

السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه - بطعن أو تجريح - ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا) .

وعلى ذلك علق الشيخ سعيد حوى فقال :

١ ـ لا عصمة عند أهل الحق إلا للكتاب والسنة ، ولذلك فإن الخطأ فيما سوى ذلك ممكن ، وبالتالي فكل أحد بعد الله ورسوله يؤخذ من كلامه ويرد ، ومن ذلك كلام السلف وكلام الأئمة ، فحيثما تبين لنا أن هناك كلاما يخالف الكتاب والسنة رددناه كائنا من كان قائله .

وكذلك يقول الأستاذ البنا رحمه الله في الأصل التاسع : (وكل مسألة لا ينبني عليها عمل ، فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعا ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع) .

فعلق الشيخ سعيد حوى قائلا :[1]

كان أدب الصحابة أنه لا يسألون عن شيء لم يقع ، فإذا وقعت واقعةبحثوا عن حكم الله فيها ، حتى أن عمر كان يلعن من سأل عن شيء لم يقع كما ذكره الدارمي ، وهناك مسائل ليست من باب العقائد التي كلفنا بها ، وليست من باب الفقهيات التي نحتاجها أو يحتاجها المسلمون ، وليست من باب السلوكيات ولا يتوقف عليها فهم نصوص الكتاب والسنة ، وليست لازمة في أمر الدنيا والدين ، مثل هذه المسائل لا ينبغي أن نشغل فيها وقتاً لأنها لا تخرج عن كونها إتعابا للأنفس والعقول وإضاعة للوقت في غير طائل ، بل لعلها داخله في أخلاقيات المتفاصحين والمتقعرين والميتفيهقين وكل ذلك من التكلف المنهي عنه شرعا ، قال تعالى :

---

(١) آفاق للشيخ سعيد حوي .

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[1] .

ولتوضيح أمر المنهج لابد من ذكر بعض الأمور التفصيلية في المنهج الفقهي ، والمنهج العقدي :ـ

* المنهج الفقهي :

سنختار منه قضية المذهبية[2].

قبل البدء في تقرير ما يتعلق بهذا الموضوع سأذكر مقالا عن الاجتهاد والتقليد بنصه نشر في مجلة الأخوة الإسلامية[3] في السنة الأولى تحت عنوان (**في صياغة الأخ الداعية**)

يقول الكاتب :ـ إنني أحاول أن أزيل بعض الشبهات التي تكتنف بعض المفاهيم في معنى التقليد والاجتهاد :ـ

التقليـد :

تعريفه : (قبول قول الغير من دون مطالبة بحجة) من كتاب أو سنة ، فإن سأل السائل عنها ، فليس بمقلد . وهذا التعريف يسلمه كل مقلد ولا ينكره . وللمقلدة أدلة فيما يعتقدون . منها :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4]

---

(١) سورة ص آية رقم ٨٦ .

(٢) وقد أشبعنا هذا بحثاً في تحقيقنا لرسالة «القول السديد» فارجع إليها ففيها نفع كثير في هذه المسألة .

(٣) تعتبر الصوت الناطق عن الإخوان في ذلك الوقت في العراق وسأقوم بتوضيح هذه المسألة عند إخراج وتحقيق رسالة « القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد » فانتظرها فإن فيها كثيراً من الأقوال المذكورة ولكنها هناك مُسندة .

(٤) سورة الأنبياء آية رقم ٧ .

إنا نسألهم ، لأننا لا نعلم ، فيفتوننا ، أي أن تقليدنا للمذاهب إنما هو استفتاء للعالم .

الجواب : الذكر هو القرآن والحديث ، ويجب السؤال عن (الدليل) من (أهل الدليل) . ولقد أفتى جماعة جريحا ليغتسل من جنابة ، فاغتسل فمات ، فقال (ﷺ) : ألا يكفيه أن يضرب في التراب يده كذا . . مشيرا إلى التيمم ، ثم قال : (قتلوه ، قتلهم الله ! ألا سألوا إذا لم يعلموا ! إنما شفاء العيِّ السؤال) ![1] .

فأخذ الرأي من دون دليل قتل للمفتي ، وإساءة إليه وإلى المستفتي ، بنص الحديث ، وبما سأتي . . .

٢ ـ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)[2] حديث

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٦) والبيهقي (٢٢٨/١) والدار قطني من طريق الزبير بن خريق عن عطاء عن جابر

قال الدارقطني : لم يروه عن عطاء عن جابر غير الزبير بن خريق وليس بالقوى وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء عن ابن عباس واختلف على الأوزاعي فقيل عنه عن عطاء وقيل عنه بلغني عن عطاء .

وقال البيهقي : ولا يثبت عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء وأصح ما روي فيه حديث عطاء بن أبي رباح وليس بالقوي وقال الحافظ في بلوغ المرام : رواه أبو داود بسند فيه ضعف وقال الألباني : ضعيف أ. هـ (الإرواء ١٤٢/١) .

وحديث ابن عباس الذي أشار إليه الدارقطني أخرجه أبو داود (٣٣٧) وابن ماجه (٥٧٢) وغيرهما قال الألباني : ورجاله ثقات لولا أنه منقطع بين الأوزاعي وعطاء .الإرواء١٤٣/١ .

ومع هذا فقد ذكر الحديثان في صحيح الجامع (٤٢٣٨ و٤٢٣٩) وقال عن كل منهما صحيح أ. هـ.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦/٤ ، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٤٥/٥) وابن ماجه (٤٢ ، ٤٣ و٤٤) والدارمي (٩٦) والحاكم (٩٥/١ ـ ٩٦ ـ ٩٧) وابن حبان (موارد ١٠٢) وابن نصر في « السنة » (ص ٢١) وابن أبي عاصم في « السنة » (٣١ ، ٥٤ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٢٦ ، ٥٥ ، ٢٨ ، ٢٩) وأبو نعيم في « الحلية » (٢٢٠/٥) وغيرهم من حديث العرباض بن سارية .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح ليس له علة . وقال الترمذي : حسن صحيح

وقال أبو نعيم : حديث جيد من صحيح حديث الشاميين . وقال ابن عبدالبر : إسناده صحيح . =

صحيح وحديث (اقتدوا باللّذين من بعدي أبي بكر وعمر)[1] حديث معروف مشهور ثابت في السنن وغيرها . فقالوا : إننا نقلد الأئمة الأفاضل ، كما نقلد الخلفاء الراشدين .

٣ ـ (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)[2] فنحن نقتدي بالأئمة كما نقتدي بالصحابة .

٤ ـ ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3] .

فأولوا الأمر العلماء وطاعتهم تقليدهم فيما يفتون .

الجواب : أولوا الأمر : الأمراء أو العلماء أو كلاهما ، وطاعة العلماء غير تقليدهم لأنهم قد نهوا عن التقليد أشد النهي كما سيأتي ، فطاعتهم ترك تقليدهم .

٥ ـ إن أجزنا الاجتهاد لكل فرد ، فقد كلفناالإنسان مالا يطيقه ، فتتعطل الحياة العملية .

الجواب : إنما تقرر لكل إنسان السؤال عن الحكم الشرعي الثابت في الكتاب والسنة كي يأخذ دينه من معينه ، بمعرفة النص لفظا أو معنى وهذا أخف من تفهم دقائق علم الرأي وهذا هو الذي درجت عليه القرون الثلاثة ، وهي خير

= جامع بيان العلم ٢/١١٠ وقال أبو بكر : حديث ثابت صحيح أ هـ جامع بيان العلم ٢/٢٢٢ وصححه الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٦ ـ الصحيحة ٩٣٧) .

(١) أخرجه الحاكم (٣/٧٥) عن ابن مسعود وأخرجه الترمذي (٣٦٦٢) وأحمد (٥/٣٨٥,٤٠٢) والطحاوي في « المشكل » (٢/٨٣ ـ ٨٤) وابن سعد (٢/٣٣٤) والحاكم (٣/٧٥) وغيرهم عن حذيفة .

(٢) قال الألباني : موضوع رواه ابن عبدالبر في « جامع العلم » (٢/٩١) وابن حزم في « الأحكام » (٦/٨٢) أ هـ . الأحاديث الضعيفة (٥٨) .

(٣) سورة النساء آية رقم ٥٩ .

القرون : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)[1] .
والمذاهب الأربعة كانت في القرون الثلاثة المشار إليها ، ولم تعرف عصورها التقليد قط ، فقد خالفهم تلاميذهم في كثير من المسائل ، وإن المرء لا يسأل يوم القيامة : لم لم تستجب لقول فلان أو رأيه بل يسأله : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2] !! .
٦ ـ إن باب الاجتهاد قد أغلق لعدم وجود من يفهم الكتاب .

الجواب : هل إن الله عجز عن أن يصوغ النفوس صياغة تفهم القرآن ! أو هل عجز عن أن يصوغ القرآن صياغة تفهم ! وهو القائل سبحانه : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[3] .

و﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾[4]

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[5]

و ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[6] .

فكيف يهدي إذا كان لا يفهم !! وقد قال لليهود إن التوراة لا تفهم ، فأجابهم الله تعالى ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[7] .
والله يأمرنا أن نفهم قرآننا كفهمنا لأبنائنا .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[8] .

من هذا يتبين لك أن الإسلام علم يستند فيه إلى الحجة والدليل دائما ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[9] .

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٦/١٨٧) عن عمران بن حصين .
(٢) سورة القصص آية رقم ٦٥ .
(٣) سورة الشعراء ١٩٥ .
(٤) سورة الزمر ٢٨ .
(٥) سورة القمر ١٧ .
(٦) سورة الإسراء ٩
(٧) سورة البقرة ٨٨ .
(٨) سورة البقرة ١٤٦ .
(٩) سورة البقرة ١١١ .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[1] ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾[2] .

وتعريف التقليد أنه من دون حجة أو دليل ، فليس بعلم إذن . . ومتى سأل المسلم عن الدليل من كتاب أو سنة ، فقد خرج من حيز التقليد ، على رأي المقلدة .

* رأي أئمة المذاهب الأجلاء في التقليد :

حكى الشعراني في الميزان أن الأئمة الأربعة كلهم قالوا : (إذا صح الحديث فهو مذهبنا) . وقال الإمام الأعظم أبو حنيفة (رضي الله عنه) : (لا يحل لأحد أن يقول بقولنا ، حتى يعلم من أين قلنا) ، وقال : (حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي) . وقال مالك (رضي الله عنه) : (إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل مالم يوافقهما فاتركوه) .

ولقد تواتر عن الشافعي رضي الله عنه أنه سأله رجل فقال : يروى عن النبي (ﷺ) أنه قال كذا وكذا ، فقال له السائل : يا أبا عبدالله أتقول بهذا ! فأجابه : (أرأيت في وسطي زنارا !! أتراني خرجت من الكنيسة !! وفي رواية : فارتعد الشافعي واصفر وحال لونه وقال : (ويحك ! أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، إذا رويت عن رسول الله (ﷺ) شيئاً ، ولم أقل له : نعم على الرأس والعين ، نعم على الرأس والعين !!

---

(١) سورة النساء ١٠٥ .

(٢) سورة الإسراء ٣٦ .

وقال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول : (الإتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ) . . . وقال لأبي داود : (لا تقلدني ولا مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا) !! أي من القرآن والحديث .

يا لله . . إن القلم إذ ينقل ذلك ، على وجل من الله وحياء من رسول (ﷺ) . أيحتاج أن نوضح أنه يجب تقديم كلام الله والرسول على ما سواهما !! ثم أويجوز أن نرجح قول غيرهما كائنا من كان !!

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1] .

ولو أن عالما من علماء الإسلام اليوم يجعل قوله كقول الله والرسول ، لكان كافرا مرتدا ! فضلاً عن أن يجعل قوله مقدما على قولهما !! وهل يتصور أحد أئمة المذاهب المكرمين لو وقف بين يدي الرسول ﷺ أكان يرد عليه قوله أو يخالفه !!؟؟

لا والله !! بل لا يقدر أن يرفع بصره إلى محياه إجلالا له وإكبارا . وكان الصحابة ينتظرون الرجل يأتي من البادية ، ليسأله (ﷺ) كي يستفيدوا بجوابه ، لأن الحياء منه كان يعقل لسانهم أمامه عن السؤال أحيانا ، وكأنهم على رؤوسهم الطير !!

وفي الختام إليك أهدي أيها القارىء الكريم ، موعظة غالية للرسول (ﷺ) ، فقد ثبت في كتب السنن ورجال الصحيح : (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقلنا يا رسول الله إن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا !

---

(١) سورة الأحزاب ٣٦ .

فقال : ترتكم على البيضاء : ليلهـا كنهارهـا ، لا يزيـغ عنها بعـدي إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، وعليكم بالطاعة ، وإن كان عبدا حبشيـا ، عضوا عليها بالنواجذ ، إنما المؤمن كالجمل الأنف ، كلما قيد انقاد ، وإياكم ومحـدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)[1] .

*** قواعد مسألة الاجتهاد والتقليد كما علمتها من أفواه كثيرٍ من الإخوان :**

سأعمد لإيضاح القواعد وتقنينها إلى بعض النقولات من كتاب البوطي في المذهبية ، والتي نقلها بدوره عن العلماء المجتهدين من سلفنا رحمهم الله وإلى ما قال الإمام حسن البنا رحمه الله .

ما ذكره البوطي :

(١) إن المقلد لأحد المذاهب ، ليس ثمة ما يلزمه شرعـا بالاستمـرار في تقليده وليس ثمة ما يمنعه من التحول عنه إلى غيره . فقد أجمع المسلمون على أن للمقلد أن يقلد من شـاء من المجتهدين إذا تـوصـل إلى حقيقـة مـذاهبهم وآرائهم ، فله مثلا أن يقلد كل يوم إماما من الأئمة الأربعة ، ولئن ظهر في بعض العصور المتأخرة من استهجن تحول المقلد من مذهب إلى آخر ، فهو التعصب المقيت الذي أجمع المسلمون على بطلانه .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) مجلة الأخوة الإسلامية السنة الأولى ـ وكانت بإشراف وإدارة الشيخ الفاضل محمد محمود الصواف مسئول الاخوان في ذلك الوقت .

ملاحظة : مع ذكر المقال كشاهد لا يعني أني أوافقه في كل استشهاداته .

ومعلوم لكل باحث ، أن هذا الذي لا خلاف فيه ، هو غير دعوى أن على المقلد أن لا يلتزم مذهبا بعينه ، وأن عليه أن يلون ويغير . أي إن عدم وجوب الإلتزام لا يستلزم حرمة الإلتزام .

(٢) إن المقلد إذا ما تمرس في فهم مسألة من المسائل وتبصر بأدلتها من الكتاب والسنة وأصول الاجتهاد ، وجب عليه أن يتحرر في الأخذ بها من مذهب إمامه ، وحرم عليه التقليد فيها طالما أمكنه أن يجتهد فيها معتمدا على طاقته العلمية المتوفـرة لديـه ، أجمع عـلى ذلك العلماء وأئمـة المذاهب أنفسهم . وبدهي أنه يحرم عليه إذاً ترجيح رأي إمامه على ما هداه إليه اجتهاده في تلك المسألة التي توفر على دراستها والتعمق في فهم أدلتها وأصولها .

ومعلوم لكل باحث أيضا ، أن هذا الذي لا خلاف فيه ، لا يستلزم بحال دعوة المقلد الجاهل بأدلة الأحكام إلى نبذ التقليد والاعتماد مباشرة على نصوص الكتاب والسنة .

((٣) متى يجب الانقطاع عن تقليد المذهب وإمامه :

هنالك حالتان يجب فيهما على المقلد مهما كان شأنه ، أن يمتنـع عن مواصلة اتباع إمامه وتقليده . .

* **الحالة الأولى :** أن يصل في معرفة مسألة من المسائل إلى الإحاطة بها والاطلاع على كافة أدلتها ومعرفة كيفية استنباط الحكم منها . فإن عليه أن يتبع في تلك المسألة ما يهديه إليه اجتهاده وليس له أن يطوي ملكته العلمية فيها ليواصل السير وراء إمامه . .

فإن كانت ملكته هذه تتسـع لأكثر من مسـألة واحـدة فالحكم فيهـا كذلك .

* **الحالة الثانية** : إذا رأى حديثا يدل على عكس ما يذهب إليه إمامه الذي يقلده في دينه ، وتأكد من صحة الحديث ودلالته على الحكم ، فإن عليه أن يتبع دلالة الحديث ويقلع عن التمسك بمذهب إمامه في الحكم . لأن الأئمة الأربعة جميعا كانوا يوصون أصحابهم وتلاميذهم بالتحول إلى دلالة الحديث الصحيح إذا جاء مخالفا لاجتهاداتهم ، فالتحول إلى الحديث في الحقيقة من صميم مذاهب الأئمة الأربعة ، وهو قدر مشترك يلتقون عليه ويدينون به .

ولكن لذلك شروطا لابد من معرفتها ومراعاتها ، فليس كل حديث يلمحه الباحث ويرى أنه يدل على خلاف اجتهاد إمامه ، دالا في الحقيقة على ما فهمه هذا الباحث .

فلترك الإمام ظاهر حديث ما ، أسباب اجتهادية كثيرة ، أوصلها ابن تيمية رضي الله عنه إلى عشرة أسباب ، وأضاف إليها سبباً آخر هو أنه يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع عليها فإن مدارك العلم واسعة[١] .

فإذا بحثنا عن أسباب ترك الإمام المجتهد لظاهر الحديث ، ولم نعثر على سبب من الأسباب العشرة التي صورها ابن تيمية ، فلا يجوز أن يعدل بعد ذلك عن دلالة الحديث الصحيح بحجة أنه قد يكون له عذر لم نطلع عليه وقد تكون له حجة لم يذكرها ، إذ أن تطرق الخطأ إلى العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية بعد معرفتها وتمحيصها وفهم المقصود منها[٢] :

ما ذكره الأستاذ حسن البنا رحمه الله :

(١) القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام ،

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ٣١ .

(٢) اللامذهبية ص ٣٥ ، ٨٦ ، ٨٧ .

ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية ، من غير تكلف ، ولا تعسف ، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

(٢) كل أحد يؤخذ عن كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله أولى بالاتباع ، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

(٣) ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف الأدلة ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجةالنظر .

(٤) الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلى خصومه ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله ، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

ومن غير تعليق يتضح المنهج السليم في الاستنباط من خلال الكتاب والسنة وتتضح هذه المنهجية في الحركة فيما لخصه محمد فتحي عثمان في كتابه « السلفية في المجتمعات المعاصرة » منهجية الأستاذ « حسن البنا » من خلال مذكراته .

فقال :

إنه كان يحرص منذ حداثته على التزام السنة حتى في لباسه فكان يضع على رأسه وهو طالب بمدرسة المعلمين « عمامة ذات عذبة » كما كان يلبس نعلا كنعل الإحرام في الحج ورداء فوق الجلباب ، وقد سأله عن زيه هذا مدير التعليم ،

فأجابه كما يروي في مذكراته « إنه السنة » فقال له « وهل عملت كل السنن ولم يبق إلا سنة الزي » فقال له : « لا ونحن مقصرون كل التقصير ولكن ما نستطيع أن نفعله نفعله » وكان يطلق لحيته ، وقد واجه عند استهلال دعوته في الإسماعلية إنقساما سابقا بين « أنصار السنة » و « الطرقية* » في المدينة ، **فهو يروي في مذكراته أنه سئل ليلة في أحد دروسه التي كان يلقيها بمسجد صغير عن « التوسل » وقد رأى أمارات الفرقة والتحفز بين الناس فقال للسائل « ياأخي أظنك لا تريد أن تسألني عن هذه المسألة وحدها ، ولكنك تريد أن تسألني كذلك في الصلاة والسلام (ﷺ) بعد الأذان ، وفي قراءة سورة أهل الكهف يوم الجمعة ، وفي لفظ السيادة للرسول ﷺ في التشهد ، وفي أبوي النبي ﷺ وأين مقرهما ، وفي قراءة القرآن وهل يصل ثوابها إلى الميت أو لا يصل ؟ ، وفي هذه الحلقات التي يقيمها أهل الطرق وهل هي معصية أو قربة إلى الله ؟ »** وهكذا كان الرجل واعيا بحقيقة الموقف ومواضع الخلاف والإنكار ، وقد شاء أن يواجه الأزمة والخلاف بطريقة مرنة . يروي في مذكراته « . . . وأخذت أسرد له (للسائل) مسائل الخلاف جميعا التي كانت مثار فتنة سابقة وخلاف شديدي فيما بينهم ، فاستغرب الرجل وقال : نعم أريد الجواب على هذا كله ، فقلت له : يا أخي إني لست بعالم ، ولكني مدرس أحفظ بعض الآيات وبعض الأحاديث النبوية وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب وأتطوع بتدريسها للناس ، فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أحرجتني ومن قال لا أدري فقد أفتى ، فإذا أعجبك ما أقول ورأيت فيه خيرا فاسمع مشكورا ، وإذا أردت التوسع في المعرفة فسل غيري من العلماء والفضلاء المختصين فهم يستطيعون إفتاءك فيما تريد ، وأما أنا فهذا مبلغ علمي ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فأخذ الرجل بهذا ولم يحر جوابا وأخذت عليه بهذا الأسلوب سبيل الاسترسال ، وارتاح الحاضرون أو معظمهم إلى هذا التخلص ، ولكني لم

* أصحاب الطرق الصوفية .

أرد أن تضيع الفرصة فالتفت إليهم وقلت لهم : يا إخواني أنا أعلم تماما أن هذا السائل وأن الكثير من حضراتكم ما كان يريد من وراء هذا السؤال إلا أن يعرف هذا المدرس الجديد من أي حزب هو ؟ أمن حزب الشيخ موسى أو حزب الشيخ عبدالسميع ؟ (وهما الرجلان اللذان كانا على رأس السلفيين والطريقيين فيما يبدو) ، وهذه المعرفة لا تفيدكم شيئا وقد قضيتم في جو الفتنة ثماني سنوات وفيها الكفاية ، وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين ، والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ، ويكره منا الخلاف والفرقة ، فأرجو أن تعاهدوا الله أن تدعو هذه الأمور الآن وتجتهدوا في أن نتعلم أصول الدين وقواعده ، ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة وإرشاداته المجمع عليها ، ونؤدي الفرائض والسنن ، وندع التكلف والتعمق حتى تصفو النفوس ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأي ، وحينئذ نتدارس هذه الشئون كلها معا في ظل الحب والثقة والوحدة والإخلاص ، وأرجو أن تتقبلوا مني هذا الرأي ويكون عهدا فيما بيننا على ذلك ، وقد كان ، ولم نخرج من الدرس إلا ونحن متعاهدون على أن تكون وجهتنا التعاون وخدمة الإسلام الحنيف والعمل له يدا واحدة وطرح معاني الخلاف واحتفاظ كل برأيه فيها حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

واستمر درس (الزاوية) بعد ذلك بعيدا عن الجو الخلافي فعلا بتوفيق من الله . .) على أن حسن البنا كان يحاول أن يصوغ فكر المستمعين إليه وأعضاء جماعته في تدرج وبطء نحو العقيدة الصحيحة ، وينزع بالناس نحو فهم السلف لحقائق الدين في يسر ، ويحرص على ألا تكون جماعته « طريقة » أخرى من طرق الصوفية ، ويأخذ بأيدي الناس بعيدا عنها وإن لم يشأ أن يصطدم مباشرة بها لتغلغلها وتأثيرها بمصر في العامة والخاصة على السواء . يقول في مذكراته : « ولكن الحق أنني لم أكن متحمسا لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها أنني لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ، وأنني لا أريد أن تكون محصورة في نفر من المسلمين ولا في ناحية من نواحي الإصلاح الإسلامي ، ولكني

حاولت جاهدا أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد وهي أركان الدعوة الإسلامية الجامعة » . على أن حرص الرجل على ألا يتصادم هو مع الطرق أو غيرهم من الجماعات الدينية لم يمنع غيره من أن يبدأ هو النزال والصدام . . فإنه ما كان يظهر إعجاب الناس بها (بالدعوة) وإلْتِفَافُهُمْ حولها وتقديرهم للعاملين لها حتى أخذت عقارب الحسد والضغينة تدب في نفوس ذوي الأغراض ، وراحوا يصورون الدعوة والداعين للناس بصور شتى : فهم تارة يدعون إلى (مذهب خامس) ، وهم أحيانا شباب طائش ، وهم أحيانا نفعيون مختلسون يأكلون أموال الناس بالباطل وهكذا ، « . . وكتبوا عريضة إلى رئيس الحكومة(وقتذاك) ضمنوها أمورا غريبة ، منها أن هذا المدرس شيوعي متصل بموسكو ويستمد المال من هناك . . ومنها أن هذا المدرس وفدي (أي منتم للحزب المعارض للحزب الحاكم وقتذاك) ويعمل ضد النظام الحاضر . . وزعموا أن حسن البنا يعرض في دروسه ومحاضراته سيرة أبي بكر الصديق أو سيرة عمر بن عبد العزيز ليغمز حكام مصر في ذلك الوقت ، وفشلت هذه المكائد ، **وكان يبدو من الرجل الحرص على التزام السنة عملا ، وتوقي الجدل القولي على الملأ ، إلا إن كان هناك ما يدعو إلى النصيحة فيدعو إليها بالحكمة والموعظة الحسنة . . فقد حدث أن زار القاضي الشرعي لمدينة الاسماعيلية مع غيره من كبار الموظفين والوجهاء بالمدينة في إحدى ليالي رمضان فقال عن زيارته : «فقدَّم إلينا ـ أي القاضي ـ أكوابا من الفضة وجاء دوري فطلبت كوبا من زجاج فقط ، فنظر إلي فضيلته مبتسما وقال إن المسألة خلافية فيها كلام طويل ونحن لم نفعل كل شيء حتى نتشدد في مثل هذا المعنى ، فقلت : يا مولانا إنها خلافية إلا في الطعام والشراب فالحديث متفق عليه والنهي شديد . . ولا مناص من الامتثال ، وتدخل القاضي الأهلي فقال « يا فضيلة القاضي ما دام هناك نص فالنص محترم ، ولسنا ملزمين بالبحث عن الحكمة وإيقاف العمل بالنص حتى تظهر ، فعلينا الامتثال أولا ثم إن عرفنا الحكمة فبها وإلا فذاك قصور منا ، والعمل على كل حال واجب ثم يقول صاحب المذكرات**

« فانتهزتها فرصة وشكرت له ، وقلت له (القاضي الأهلي) مشيرا إلى إصبعه : « ومادمت قد حكمت فاخلع هذا الخاتم فإنه من ذهب والنص يحرمه . . (وبعد حوار قصير) خلع خاتمه وكانت جلسة لها صداها في جمهور يرى مثل هذا الموقف العادي أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو نصيحة في الله « وحين فكر حسن البنا وإخوانه في إحياء السنة بصلاة العيد بالصحراء يقول : « إذا بي أفاجأ بحملة عنيفة من المتربصين بالدعوة بأن هذا ابتداع في الدين وتعطيل للمساحد وإفتاء بالباطل ومن ذا الذي يقول أن الشارع أفضل من الجامع . . وتصادف أني كنت حينذاك معتكفا العشر الآواخر من رمضان بالمسجد العباسي ، فكان الناس يتقاطرون علي عقب كل صلاة ويسألونني عن هذه « البدعة الجديدة » فأنا أستغرب هذه الحملة التي لا أساس لها وأقرر حكم الدين بكل بساطة وبراءة وأطلع الناس على النصوص الفقهية في هذا المعنى وأتجنب الجدل والمراء وأوصي بجمع الكلمة والبعد عن الخصومة » وكان الرجل قد رسم لنفسه وجماعته خطة معينة في هذا الأمر مراعاة لما يعلم من سرعة انقسام الآراء في هذا البلد حول المسائل الدينية لشدة حساسيته ، ولقرب عهده بالخلافات الماضية وبذلك يقول : اشترطت ألا نخطو خطوة حتى نستشير العلماء . ونتفق معهم على أسلوب التنفيذ ، فإن وافقوا فذاك وإلا فإن اجتماع الآراء على خلاف الأولى أفضل من افتراقها وتشتيت الكلمة على ما هو أفضل لكن جمهور المسلمين إذا بصر بالحق جند نفسه للدفاع عنه واتخذ هو المبادرة ، وتجمع الجمهور للحق والسنة وأعلنوا أن الصلاة ستكون بظاهر البلد وأعدوا المصلى لذلك فعلا » .

ويتوقى في ذلك المصادمة والمهاجمة قدر طاقته« . . . وخلال كل مجلس من مجالسه يطرق باب العقيدة الصحيحة فينميها ويقويها ويثبتها بما ورد من آيات الكتاب الحكيم وأحاديث الرسول العظيم ﷺ وسير الصالحين ، ولا يعمد كذلك إلى نظريات فلسفية أو فقهية وإنما يلفت الأنظار إلى عظمة الباري في كونه ، وإلى

جلال صفاته ويذكر بالآخرة لا يعدو جلال القرآن الكريم في هذه المعاني كلها ، ثم لا يحاول هدم عقيدة فاسدة إلا بعد بناء عقيدة صالحة وما أسهل الهدم بعد البناء وأشقه قبل ذلك .

وكلما مرت الأيام ازداد فكر الرجل تبلورا لا بشأن الحرص على التزام فهم السلف للإسلام فحسب ، بل بشأن « المواجهة » الصريحة للمخالفين قولا وعملا ، فهو يشير في آخر ما نشر من مذكراته التي انتهت عند وقائع سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م إلى حضورشخص إلى « الإسماعيلية » يدعو إلى الطريقة (. . . . .) ثم قال البنا رحمه الله عن نفسه : أنا إنما وقفت نفسي لدعوة أرى أنها خير السبل للإصلاح الإسلامي ، وأمثال هؤلاء يريدون تحويلها وتشكيلها بشكل دعواتهم وذلك ما لا أريده . .

لقد آن الأوان الذي أعتزل فيه عن كل هذه الدعاوي المشتبهة ، وأكشف فيه عن الغاية للإصلاح الإسلامي الذي يتلخص في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام وإرجاع الناس إلى هدى الإسلام الحنيف .[1] .

المنهج العقدي عن الإخوان :

في مجال العقيدة نرى اهتماما عجيبا من قبل الإخوان في البناء العقائدي للأخ ، وذلك ليتحرر الناس من العبودية لغير الله ، فبعد البناء العقائدي كيف يستطيع حاكم مستبد أن يحكم قوما وفي أعماق كل رجل منهم وكل امرأة وطفل مناد يهتف بهم في كل وقت من ليل أو نهار أن لا خضوع إلا لله وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن لا خوف إلا من الله ، وأن لا فضل إلا من عند الله .

---

(١) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ـ ط٢ بيروت سنة ١٣٦٦ هـ ١٩٦٦ م ص ٢٠ ، ٥٨ ـ ٥٩ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٠٠ ـ ١٠٢ ، ١٢٦ .
نقلا عن السلفية في المجتمعات المعاصرة محمد فتحي عثمان ص ١٢٢ ـ ١٢٦ .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[3] ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[4] ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5] .

والعداء بين الطغاة من الحكام وبين العقيدة الإسلامية مستحكم من قديم ، فهذا الحاكم المستبد الذي أحس خطورة هذه العقيدة على استبداده فاستدعى إبراهيم عليه السلام وهو في غرور سلطته وأدار معه حوارا على النحو الذي ورد في الآية الكريمة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[6]

وينهزم الحاكم المستبد حين يدخل مع العقيدة الإسلامية في الحوار فيطيش صوابه ولا يجد في جعبته إلا البطش والإرهاب فيأمر بإحراق صاحب هذه العقيدة

---

(١) الأنعام ١٦٤

(٢) الأنعام ١٧

(٣) الأنعام ١٤

(٤) الزمر ٣٦

(٥) آل عمران ١٧٣ ـ ١٧٥

(٦) البقرة ٢٥٨

لعلها تحترق باحتراقه وتبيد ويستريح منها ولا يجد أمام استبداده عائقا يقف في وجهه ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[2] .

هذا من حيث الاهتمام بالعقيدة في عمومها .

أما المنهج فلا يتعدى الدائرة التي تحرك بها سلفنا رضوان الله عليهم :

في الأمور المتعلقة بالبدع :

يقول الشيخ رحمه الله في الأصل الحادي عشر :

« وكل بدعة في دين الله لا أصل لها ، استحسنها الناس بأهوائهم ـ سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ـ ضلالة يجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها » .

وهذه المحاربة للبدع محدودة الأصول العامة كما يقول الأستاذ سعيد حوى :

البدعة التي أجمع الفقهاء على تحريمها ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها ولكن عندنا في شريعتنا أصل عام يجب أن يراعى وهو؛ أن تغيير المنكر إذا أدى إلى منكر أكبر منه فعلينا أن نفتش عن طريقة أخرى للتغيير أو نسكت، ولذلك فإن ابن

(١) العنكبوت ١٧

(٢) العنكبوت ٢٤ ـ ٢٥

تيمية رحمه الله ينهي تلاميذه عن نهي التتار عن الخمر لأن التتار إذا سكروا وناموا خف شرهم عن المسلمين في سكرهم ونومهم ، ولكن إذا استيقظوا ولم يكن لهم شغل ، هتكوا أعراض المسلمين أو سلبوا أموالهم أو قتلوهم .

منهج فهم الصفات والأسماء :

يؤكد الأستاذ حسن البنا رحمه الله منهج السلف في ذلك فيبين :

أ ــ أن أسماء الله وصفاته توقيفية فيقول :

(اعلم أن جمهور المسلمين على أنه لايصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسما أو وصفا لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسما له تعالى وإن كان يشعر بالكمال فلا يصح أن نقول : مهندس الكون الأعظم ولا أن نقول مثلا المدير العام لشئون الخلق ، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطلح عليها ويتفق على إطلاقها عليه تعالى ، ولكنها إن جاءت في عرض الكلام لبيان تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس ، والأولى العدول عن ذلك تأدبا مع الحق تبارك وتعالى[1] .

ب ــ حديث البنا رحمه الله عن الفرق التي انقسمت في موضوع الأسماء والصفات فيقول :

انقسم الناس في هذه المسألة عل أربع فرق :

١) فرقة أخذت بظواهرها كما هي فنسبت إلى الله وجها كوجوه الخلق يدا كأيديهم وضحكا كضحكهم وهكذا حتى فرضوا الإله شيخا وبعضهم فرضه شابا وهؤلاء هم المجسمة والمشبهة وليسوا من الإسلام في شيء وليس لقولهم نصيب من الصحة ويكفي في الرد عليهم قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2] .

---

(١) العقائد للأستاذ حسن البنا ص ٢١

(٢) فرقة عطلت معاني هذه الألفاظ على وجه ، يقصدون بذلك نفي مدلولاتها مطلقا عن الله تبارك وتعالى ، فالله تبارك وتعالى عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ، لأن ذلك لا يكون إلا بجارحه ، والجوارح يجب أن تنفي عنه سبحانه ، فبذلك يعطلون صفات الله تبارك وتعالى ، ويتظاهرون بتقديسه ، وهؤلاء هم المعطلة ، ويطلق عليهم بعض علماء تاريخ العقائد الإسلامية : الجهمية ، ولا أظن أن أحدا عنده مسكة من عقل يستسيغ هذا القول المتهافت .

ثم يقول : هذان رأيان باطلان لاحظ لهما من النظر وبقي أمامنا رأيان هما محل أنظار العلماء في العقائد وهما رأي السلف ، ورأي الخلف ، ثم قال في خلاصة الأمر والبحث بين الرأيين « ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم[٣] هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع حسما لمادة التأويل والتعطيل ، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان وأثلج صدره ببرد اليقين فلا تعدل به بديلا » .

وبالإضافة إلى ما ذكرناه من أقوال للإمام حسن البنا رحمه الله نذكر نص كلام الأستاذ عمر التلمساني حفظة الله في هذا المجال حيث، يقول :

---

(١) سورة الشوري ١١

(٢) سورة الاخلاص ١ ـ ٤

(٣) يقصد بذلك تفويض علم الكيفية ويحمل كلامه المتشابه على المبين بدليل كونه قدتكلم عن الصفات وتحدث فيها الى أن قال في نهايتها « و صفات الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم كثيرة وكمالاته تبارك وتعالى لا تنتهي ولا تدرك كنهها عقول البشر ، سبحانه لا يحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه «ص٤٨» العقائد.

ويقول رحمه الله : « فبينما تقرأ في الكتب أن صفات الله تعالى ثلاث عشرة صفة أو عشرين صفة تجد في كتاب الله والسنة أكثر من ذلك . . » نظرات في النفس والمجتمع ص ١٤٥ ، ويقول : « فأعتقد أن من واجبنا أن نعود سريعا إلى ما كان عليه سلفنا الصالحون وأن نستقي العقيدة من هذا النبع الصافي الذي لا لبس فيه ولا غموض وصدق رسول الله ﷺ فيما يرويه مالك عنه « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ » الله في العقيدة الاسلامية / حسن البنا ص٨ ـ ٩. والكلام الواضح في كتاب حديث الثلاثاء للإمام البنا رحمه الله والذي نقلنا شيئاً منه في كتاب الجلسات لدليل آخر على فهمنا لكلام الإمام البنا والحمد لله.

الإخوان المسلمون سلفيون ملتزمون وسأسوق بعض صور وسلوك الإخوان المسلمين :

إن الإخوان المسلمين يعرفون أن الله خلق الجن والإنس لعبادته ، هذه العبادة المؤدية إلى معرفته جلالا وعلوا وقدرة وتمكنا ، والتي تنتهي في خاتمة المطاف إلى الإنابة إليه .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

لأنه الأول والآخر والظاهر والباطن ، وكل شيء بارادته ، ومرد الأمر إليه وإليه نرجع أجمعين ، ونحبه فوق ما نحب أموالنا وأولادنا وأنفسنا التي بين جنوبنا مع الإخلاص كله ، والوقوف في ساحته لنكون على ذكر دائمٍ منه ، لتهدأ خواطرنا ، وتسعد أنفسنا . .

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ . . .[2]

بذكره عرفوه ، وبالإنابة إليه دائما عبدوه . قيل لابن عباس : بم عرفت ربك ؟ فقال : (من طلب دينه بالقياس ، لم يزل دهره في التباس خارجاً عن المنهاج ، وظاعنا في الاعوجاج . عرفته بما عرف به نفسه ، ووصفته بما وصف به نفسه) ، وهذا هو ما يعتقده الإخوان المسلمون ، لأنه جانب من جوانب السلفية .

فسلفية الإخوان المسلمين تظهر في معرفتهم للحق ، والتحدث عنه والعمل به والدفاع عنه والتضحية من أجله. يجادلون كأسلافهم بالحسنى لأن هذا الأسلوب يقرب الحق إلى الأذهان يميل بالنفس إلى الاقتراب منه ومن الطاعة لرب العالمين . هكذا كان يفعل السلف الصالح الذين كانوا يعرفون الله جل وعلا . وهذا حق ، لأن المسلم بقدر ما يعرف الله تعالى ومهابته وجلاله بقدر ما يحرص على الرهبة من هذه الهيبة وبقدر ما يرعى جانب الجلال .

---

(١) سورة الذاريات ٥٦ .

(٢) سورة الرعد ٢٨ .

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1] .

فأعرف الناس بالله أحبهم له وأخشاهم له . ألا ترى أن الحديث الشريف الصحيح يقول فيه رسول الله ﷺ : « وزنت بالأمة فرجحت ، ثم وزن أبو بكر بالأمة فرجح . ثم وزن عمر بالأمة فرجح ، ثم رفع الميزان »[2] ويقول ﷺ : « أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . . »[3] .

كسلفيين ، يؤمن الإخوان المسلمون بأسماء الله الحسني كما هي . ويؤمنون بصفاته كما هي واردة في القرآن ، بلا تعطيل كالمعطلة ، ولا مشبهين كالمجسمين الذين يدعون أن يد الله جل وعلا كأيدينا ، وعينه كأعيننا، حاشاه عما يقولون وتعالى علوا كبيرا . . .
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[4]

إننا نقول إنه استوى على العرش كما قال مالك بن أنس :
« الاستواء معقول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

إننا سلفيون حتى في روحانيتنا وسلوكنا ، على هذا النحو الذي جاء في الآثار ما معناه : « يقول الله أنا الله ، لا إله إلا أنا ، ملك الملوك ، قلوب الملوك ونواصيها

---

(١) سورة الرحمن ٧٨ .
(٢) أخرجه أحمد (٥/٤٤ ، ٥٠) وأبو داود (٤٦٣٥) والطحاوي في المشكل (٤/٣١٢) من طريق حماد بن سلمة ثنا علي بن زيد عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه . وعلي بن زيد هو ابن جدعان وهو ضعيف وللحديث طريق أخرى عند أبي داود (٣٦٣٤) والترمذي (٢٢٨٧) من طريق أشعث عن الحسن عن أبي بكرة . وقال الترمذي حسن صحيح . قلت : الحسن هو البصري وهو مدلس ولم يصرح بالسماع وللحديث شاهد من حديث أبي أمامة أخرجه أحمد (٥/٢٥٩) وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف .
(٣) أخرجه البخاري (فتح ١١/٤ ـ ٥) عن أنس بن مالك .
(٤) سورة الشورى ١١ .

بيدي ، فمن أطاعني جعلت قلوب الملوك عليه رحمة ، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ، ولكن توبوا إلى وأطيعوني أعطفهم عليكم »[1] فلو أن هيئة أو حزبا ناله من عبد الناصر ما نال الإخوان المسلمين لقضواوقتهم كله انشغالا بمن ظلمهم أو اعتدى عليهم ، أما الإخوان المسلمون فقد خلفوا كل ما أصابهم . . دبر آذانهم ، وأقبلوا على الله يستغفرون ويسبحون ويحمدون . . لعلمهم أن الظالم لم يظلمهم لعداء شخصي بينه وبينهم ، ولكنه أذاهم لتمسكهم بدين الله . . ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** »[2] .

فتركوا الظالم لربه ، فهو الكفيل وحده بالدفاع عن دينه ، وَلَيُهْلِكَنَّ الظالمين . هذا ما كان يفعله السلف الصالح مع من آذاهم ، جاء رجل إلى أحد السلف الصالحين يقول له : إن فلانا يشتمك ، فقال الصالح : لأغيظن من علمك(يريد الشيطان) اذهب غفر الله لي ولك وله .

إننا سلفيون لأننا نطيع محمدا ﷺ ، لا نقول كمايقول غيرنا « الطاعة » لمحمد في العبادات ، أما في المعاملات فللظروف حكمها ، ولتغير الأزمنة والأمكنة أثرها » إننا نطيعه ﷺ في أمور ديننا ودنيانا . لأن الله سبحانه وتعالى لما أمر بطاعة رسوله ﷺ جعلها طاعة مطلقة غير مقيدة بأي تخصيص . ومادام اللفظ جاء في القرآن مطلقا ، فلا يصح تقييده ، هذا قول أرباب الأصول ، وهم أولى بالاستماع منا لهم ، لا لهؤلاء المحدثين العقليين الذين لا يصلون إلى مستواهم لا علما ولا فهما ولا ذكاء ولا تخريجا ولا استنباطا ولا تقى ولا إخلاصا ، لقد أمرنا الله تعالى بطاعة الرسول ﷺ في عشرات الآيات من كتابه الكريم . .

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء (الا تحافات السنية ٥٦) قال الهيثمي : وفيه ابراهيم بن راشد وهو متروك ١ . هـ المجمع ٥/ ٢٤٩

(٢) سورة البروج ٨

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[1]

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[2] ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[4] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[5] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[6] ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾[7] ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[8]

وغير ذلك كثير ، وحق له ذلك ﷺ ، لأن الله جل جلاله قال عنه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾[9] .

أليس هذا سلوك السلفيين ؟

إن الإخوان كسلفيين ، يتعاملون ويتاجرون ، ويحذرون ويتقون الأضرار والمؤذيات ، ويتخذون الأسباب طاعة لأوامر الله تعالى ، لا اعتقادا منهم أن الأسباب فعالة بذاتها ، ولكنهم يستعينون على قضاء حوائجهم بالأسباب ، وقد قال أحد السلف الصالح (إن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، وجحد الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح

---

(١) سورة النساء ٨٠
(٢) سورة الحشر ٧
(٣) سورة الأحزاب ٢١
(٤) سورةالفتح ١٠
(٥) سورة الانفال ١
(٦) سورة النساء ٥٩
(٧) سورة التوبة ٦٢
(٨) سورة التوبة ٢٤
(٩) النجم ٣

في الشرع ، بل العبد يجب أ يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله تعالى . والله يقدر له من الأسباب ومن دعاء الخلق وغيرهم ما يشاء) وعلى هذا الأساس يسير الإخوان المسلمون بعد ذلك سلفيين .

ثم قال حفظه الله :

ينتظم العالم الإسلامي في فقهه ومجادلاته وعباداته ، ثلاثة مذاهب ، ينطوي تحت كل واحد منها العديد من الفرق من كل نوع :

١ ــ أصحاب الكلام ، وتدور فهومهم حول الوجود والعدم وقضايا التصديق وعدمه ، ويرمون من وراء ذلك إلى التصديق والعلم .

٢ ــ والصوفيون أصحاب الإشارات والمكاشفات والاستغراق والفناء وتدور أبحاثهم حول المحبة والعشق والإرادة والمشيئة ، فهم يحيون في عالم الانقياد والجري وراء الإرادة .

٣ ــ أهل الإيمان ، وهم وسط بين وهؤلاء ، يجمعون بين التصديق الواقعي المتلبس بالسعى والعمل الفعلي ، وبين المحبة والشوق الذي يؤثر في الواقع العملي بروح المحبة لله ورسوله ﷺ . فهم إذا صدقوا بما جاء عن ربهم ونبيهم ﷺ ؛ فإنما يصدقون عن علم ثبت لديهم صحته بالأدلة العقلية والنقلية . ويترتب عل ذلك أنهم إذا عملوا فإنهم يعملون عن علم لا عن توهم وإذا أحبوا فإنما يحبون عن شعور صادق قام على تثبت وتبين لا عن هوى وانحراف .

وهذا الصنف الأخير هو رأي السلف الصالح ومن اتبع طريقهم حتى هذا العصر الذي نحياه والإخوان المسلمون في هذه البوتقة التي تصفي ناصع الدين من كدورات الهوى وتخبطات العقل البشري هم كلهم كذلك يؤمنون بأن الله ما أودع العقل في الرأس إلا ليحاسب عباده بمقتضاه ، فهم يحكمون عقولهم عند الفصل بين النافع والضار ، وتبين طريقهم الذي يسيرون خلاله

في دعوتهم هذه . وفي نفس الوقت يحبون الله ورسوله إلى الحد الذي يقدمون فيه محاب الله ورسوله ﷺ على محابهم ، مهما جذبهم الهوى إليها . إنهم لا يعرضون أوامر الله على عقولهم ،ليقبلوا أو يرفضوا ، ولكن كلامهم وأحكامهم وتصرفاتهم قال الله تعالى وقال رسول الله ﷺ . فمن أراد أن يعتبرهم غير ذلك ، فليحكم وليتحمل كل صاحب رأي فيهم تبعة رأيه أمام أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين . أما هم فهم سلفيون ، صدقهم الناس أم لم يصدقوهم ، فما لذلك في موازينهم من حسبان. إنما الأمر الذي يهمهم حقا هو رضاء الله عنهم أن هداهم إلى صراطه المستقيم . .

ولو أن كل جماعة من الناس جنبت رأي الناس . وحرصت على رضاء الله وحده ، لزالت كل هذه الويلات التي تحل بالعالم بسبب انتصار كل لرأيه بالحق أو بالباطل . ولكن ما العمل .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ .(١)

* موقف الإخوان من الآخرين :

أولا : من عموم الناس :

يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله : إن الناس يختلفون في موقفهم من الدعوة ، فهناك المسلمون المجاهدون وموقفنا منهم الولاء إذا أعطونا الولاء ولو اختلفت اجتهاداتنا ، وهناك مسلمون قاعدون بعذر ، فهؤلاء موقفنا منهم الدعوة والنصيحة ، وهناك ذميون لم ينقضوا عهدا ، فهؤلاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وهناك ذميون نقضوا العهود فهؤلاء أصبحوا محاربين ، وهناك معاهدون دخلوا بلادنا بأماننا الحر فهؤلاء لا يعتدى عليهم .

---

(١) سورة هود ١٨ ـ انظر بعض ما علمني الاخوان المسلمين عمر التلمساني .

ثانيا : المسلمون منهم :

يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله : الناس أمامنا واحد من أربعة :

الصنف الأول : شخص آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنا ، ورأى فيها خيرا اطمأنت إليه نفسه وسكن له فؤاده ، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا ، حتى يكثر به عدد المجاهدين ويعلو بصوته صوت الداعين ، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل ، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها ، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه ، وآمنوا برسالاته وجاهدوا فيه حق جهاده ، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر ، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .

الصنف الثاني :

شخص لم يستبن له وجه الحق ، ولم يتعرف في قولنا معنى الإخلاص والفائدة فهو متوقف متردد ، فهذا نتركه لتردده ، ونوصيه بأن يتصل بنا على كثب ، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب ، ويطالع كتاباتنا ، ويزور أنديتنا ويتعرف إلى إخواننا فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله ، وكذلك كان شأن المترددين من أتباع الرسل من قبل .

الصنف الثالث :

شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هذا البذل له من مغنم ، فنقول له : حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت والجنة إن علم فيك خيرا ، أما نحن فمغمورون جاها ، فقراء مالا ، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا ، ورجاؤنا رضوان الله ، وهو نعم

المولى ونعم النصير ، فإن كشف الله الغشاورة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده ، فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وسينضم إلى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا لينال ثواب الله في العقبى ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[1]

وإن كانت الأخرى فالله غني عَمَّنْ لا يرى لله الحق الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته ، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده ، فما كان جوابه ﷺ إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

الصنف الرابع :

شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبه ، لا يـرانا إلا بـالمنظار الأسود القاتم ، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك ، ويأبى إلا أن يلج في غروره ويسدر في شكوكه ويظل مع أوهامه ، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يلهمنا وإياه الرشد . ندعوه إن قبل الدعاء ونناديه إن أجاب النداء وندعو الله فيه وهو سبحانـه أهل الرجاء ، ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2] .

وهذا سنظل نحبه ونرجو فيأه إلينا واقتناعه بدعوتنا ، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[3] .

---

(١) سورة النحل ٩٦

(٢) سورة القصص ٥٦

(٣) اخرجه البخاري (فتح ٧/ ٣٣٠) عن ابن مسعود

ثالثا : الموقف من الهيئات الإسلامية :

يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله : وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعا على اختلاف نزعاتها ، فموقف حب وإخاء ، وتعاون وولاء ، نحبها ونعاونها ، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ، ونوفق بين مختلف الفكر توفيقا ينتصر به الحق في ظل التعاون والحب ، ولا يباع بيننا وبينها رأي فقهي أو خلاف مذهبي ، فدين الله يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه . ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى ، إذ نتحرى الحق في أسلوب لين يستهوي القلوب وتطمئن إليه العقول ، ونعتقد أنه سيأتي اليوم الذي تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية والحواجز النظرية ، وتحل محلها وحدة عملية تجمع صفوف الكتيبة المحمدية حيث لا يكون هناك إلا إخوان مسلمون ، للدين عاملون ، وفي سبيل الله مجاهدون : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] .

والإخوان المسلمون مع ذلك يعلمون أن الاجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل ، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين ، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشي الأزمان ، وهو لهذا سهل مرن هين لين لا جمود فيه ولا تشديد .

لذلك فالإخوان يتلمسون العذر لمن يخالفوهم في بعض الفرعيات ،ويرون أن هذا الخلاف لا يكون أبدا حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير ، وأن يشملهم وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته .

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ كان يخالف بعضهم بعضا في الإفتاء ، فهل

---

(١) المائدة ٥٦

أوقع ذلك اختلافا بينهم في القلوب ؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم ؟ اللهم لا ، وما حديث صلاة العصر ف بني قريظة ببعيد .

وإذا كان هؤلاء قد اختلفوا وهم أقرب الناس عهدا بالنبوة وأعرفهم بقرائن الأحكام فما بالنا نتناحر في خلافات لا خطر لها ، وإذا كان الأئمة وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله قد اختلف بعضهم عل بعض وناظر بعضهم بعضا فلم لا يسعنا ماوسعهم ؟ وإذا كان الخلاف قد وقع في أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالأذان الذي ينادى به خمس مرات في اليوم الواحد ووردت به النصوص والآثار فما بالك في دقائق المسائل التي مرجعها إلى الرأي والاستنباط ؟

* الإخوان وقضية المرأة :

كان واضحا في ذهن حسن البنا رحمه الله أن دور المرأة في الإسلام دور خطير ، له أثره البعيد في تكوين الرجال وأمهات المستقبل . . والدعائم التي ارتكزت عليها دعوة الإخوان المسلمين هي : تكوين الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم الذي يلد الحكومة المسلمة .

وحين أسَّسَ الأستاذ المرشد أول دار للدعوة في الإسماعيلية ، وأنشأ مسجدا أتبع ببناء مدرستين : إحداهما للأبناء سماها « معهد حراء الاسلامي » والأخرى لبنات أطلق عليها « مدرسة أمهات المؤمنين » وقد عنى بهذه المدرسة عناية كبيرة حيث لم تكن فكرة تعليم البنات قد وضحت بعد في أذهان المسلمين ـ فوضع لها منهاجا إسلاميا عصريا يجمع بين أدب الإسلام وتوجيهه السامي للبنات والأمهات والزوجات ، وبين مقتضيات العصر ومطالبه من العلوم النظرية والعلمية .

ولماانتشرت الدعوة في أوساط الفتيات والأمهات في القاهرة والأقاليم رؤي إدخال تعديل على لائحة القسم تضمن :

أن يكون مقر شعب الأخوات المسلمات ودروسهن دور شعب الإخوان المسلمين أو بيوتهم أو المساجد التي يشرفون عليها بشرط أن يلاحظ إخلاء الدور من الإخوان تماما ، كلما كان هناك اجتماع أو درس للأخوات . . . وقد انتشرت شعب الأخوات في القاهرة والأقاليم حتى زاد عددها على المائة شعبة .

وكما كانت جهود الأستاذ حسن البنا رحمه الله موجهة في معظمها للعناية بالطليعة من الجامعيين طلبة وخريجين ، فإنها كذلك وبنفس القدر من العناية والاهتمام كانت موجهة إلى الطليعة من الطالبات والخريجات والمدرسات ، فكان يتعهد هذه المجوعة بالدروس الأسبوعية يلقيها بنفسه ، ولم يكن يتخلف عن هذه الدروس حتى في حالة المرض .

وكانت غاية التحرك في أوساط هذا القسم في رأي الأستاذ رحمه الله هي إعداد جيل من الفتيات والنساء يزود بأعظم قدر من التربيةالإسلامية المستنيرة مع قسط من المعلومات الفقهية والتاريخية ، استعدادا لإنشاء البيوت الإسلامية التي قد تعتمد في إنشائها على المرأة أكثر مما تعتمد على الرجل . . فالزوجة هي التي تعين زوجها عل النهوض بأعباء الدعوة الإسلامية ، وهي التي تقعد بهمته عنها ، والأم هي التي ترضع أبناءها وبناتها حب الخير وهي التي تدفعهم إلى الشر .

وإذا لم توجد في البناء الإخوني الأم المسلمة الصالحة ، والزوجة المسلمة الصالحة فهيهات أن يقوم هذا البناء مهما كان الرجال مثلا عليا . . ولهذا قام بناء الدعوة حين قام على أساسين معا ففي الوقت الذي ينشأ فيه الرجال شيبا وشبابا كانت تنشأ فيه النساء أمهات واخوات . . جداران متوازيان .

ولكن لما كانت فرص الاجتماعات أمام الأخوات غير متاحة بالقدر الذي هو متاح للإخوان فإن الأستاذ رحمه الله كان حريصا على أن يجعل هذه الاجتماعات خالصة للتثقيف والتربية ، دون أن يقتطع من وقتها قليلا أو كثيرا في الانشغال

بالشئون الادارية ، كما كان حريصا على أن لا يضيع جزءا من جهود الأخوات في الالتفات إلى المناصب الادارية ، والإعداد لها والتطلع إليها ، مما قد لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات النسائية إذا أريد لها الإنتاج دون معوقات .

وربما كان هذا الأسلوب من أهم الأسباب في نجاح التنظيمات النسائية في الإخوان المسلمين بينما فشلت مثيلاتها في جهات أخرى .

ولما كانت دعوة الإخوان المسلمين دعوة عملية ، لا تعترف بالترف العلمي ، ولا تقف عند حدود التضلع من العلم الإسلامي لمجرد التضلع ، بل هي حقول تجارب يرى العضو فيها أنه مطالب بتطبيق ما تعلم أولا بأول في هذه الحقول . . . في البيت وفي العمل وفي الشارع وفي النادي ، وفي نفسه أولا ، فإن الأخوات كن كلما تعلمن شيئا من التعاليم الإسلامية يجدن أمامهن حقل التجارب في بيوتهن ، يطبقن فيها هذه التعاليم على أنفسهن وعلى أزواجهن وأبنائهن وأهليهن .

ومن هنا كانت الدعوة تسير قدما إلى الأمام لا يعوقها عائق ، فإن العربة متى كان يجرها حصانان وكلاهما يجر في اتجاه واحد فإنها تنطلق في طريقها آمنة مطمئنة ، إذ كل العوائق الخارجية يمكن تفاديها ، أما الذي لا يتفادى ولا يقاوم ولا أمل معه في مواصلة السير فهو العوائق الداخلية . . الناشئة من داخل البيت ومن داخل الأسرة . . وناهيك بعربة يجرها حصانان ، وكل يجرها في اتجاه مضاد .

وقد عابت جماعة الإخوان على غيرها معاملة المرأة من خلال تقاليد بالية سقيمة« تجعل من الرجل سجانا للمرأة يحبسها في بيته للمتعة والتوالد ، ولا تعرف من دنياها إلا هذين الغرضين العظيمين وتظل كذلك إلى أن تنتقل من ظلام حياتها إلى ظلام القبور» ورأت الجماعة أن الدين لا يقر ذلك وأن من الواجب «وأن نشفق على دين الله من أن تستبد به الآراء المتشائمة والأمزجة السوداوية » .

وأكدت جماعة الإخوان للمجتمع أن الدين لم ينزل للرجال فقط وأن على المرأة واجب خدمةالإسلام والمساهمة الكاملة في كل ما يعود بالخير عليه وعلى أبنائه .

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾[1] .

ثم ذكرت أنه على الرغم من ذلك فلا ينبغي أن يفهم بأن الإسلام قد دعا إلى مساواة الرجل بالمرأة كلية بل نظم حقوق كلا الجنسين لما بينهما من فروق في الخلق وتفاوت في الاستعداد ، وأن المساواة بينهما من حيث الدين والعقيدة والثواب والعقاب والحقوق الزوجية والمعاملات المالية وطلب العلم .

ولهذا خصصت صحف الإخوان بابا ثابتا بعنوان « البيت المسلم » ركزت فيه على حقوق المرأة في الإسلام ، وكيف أن الإسلام قد حفظ هذه الحقوق وصانها ونظمها بعد أن كانت مهضومة قبله ، وأن التيار الجديد الذي يحاول أتباعه مساواة المرأة بمثيلتها في أوروبا سيرجع المرأة إلى عصر الجاهلية .

الإخوان والجهاد :

ينظر الإخوان للجهاد على أنه من مستلزمات الدعوة وذلك بجعله الركن الرابع من أركان البيعة وبهذا يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله في مراد الجهاد :

« والمراد من الجهاد : الفريضة الماضية إلى يوم القيامة ، والمقصود بقول رسول الله ﷺ : « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية »[2] وأول مراتبه : إنكار القلب ، وأعلاها : القتال في سبيل الله ، وبين ذلك جهاد

(١) سورة آل عمران ١٩٥

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٠) عن ابي هريرة

باللسان ، والقلم ، واليد ، وكلمةالحق عند السلطان الجائر ، ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد في سبيل الله وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها ، وجزالة الثواب للعاملين .

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[1] .

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم : (**والجهاد سبيلنا**) .

ولم يكن حديث الإخوان عن الجهاد خطابات وهتافات ومقالات ، بل كان واقعا عمليا تجسد عندما أتيحت الفرصة في فلسطين والقتال ، وسرد تاريخهم في هذه الحرب والحديث عن خططهم ومعاركهم أمور جديرة أن توضع فيها مجلدات ، وأن تكون هذه المجلدات بين يدي كل عربي ومسلم ليستمدوا منها روحا وقوة ، وليستلهموا منها معاني الاعتزاز والفخر بالانتماء إلى أمتهم العظيمة . . . ومما يؤسى له أن لا يكون بين أيدينا ـ نحن العرب ـ هذه المجلدات وأن تكون هذه المجلدات عند أعدائنا الذين لا يدعون صغيرة ولا كبيرة إلا ودرسوها وتعلموا منها .

ويكفي هنا أن نذكر مسارعة الإخوان من أنحاء البلاد إلى التطوع من أول يوم فتح الأستاذ فيه باب التطوع ، وكان الأستاذ يشترط في المتطوعين من الباب شروطا أهمها أن يكون المتطوع قد تطوع برضا الوالدين .

الإخوان والسياسة :

بعد اختلاط الأمور في هذه القضية واشتغال الناس فيما بينهم يتبادلون الظنون والتنابز بالألقاب والانغماس في الاتهامات قال الأستاذ حسن البنا رحمه الله قاطعا هذه الانحرافات بقوله : « **يا قومنا إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في**

---

(١) الحج ٧٨

شمالنا ، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا ، وندعوكم إلى الإسلام، وتعاليم الإسلام ، وأحكام الإسلام ، وهدي الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا وإن كان من يدعوكم إلى هذه المباديء سياسيا فنحن أعرق الناس ـ والحمد لله ـ في السياسة ، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات .

يا قومنا لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق ، ولا الأسماء عن الغايات ، ولا الأعراض عن الجوهر ، وإن الإسلام لسياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة ، وتلك هي سياستنا لا نبغي بها بديلا فسوسوا بها أنفسكم ، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية ، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾[1]

أما السياسة الحزبية فيقول الأستاذ رحمه الله فيها :

أما أننا سياسيون حزبيون نناصر حزبا ونناهض آخر فلسنا كذلك ولن نكونه ولا يستطيع أحد أن يأتي على هذا بدليل أو شبه دليل . وأما أننا سياسيون بمعنى أننا نهتم بشئون أمتنا ، ونعتقد أن القوة التنفيذية جزء من تعاليم الإسلام تدخل في نطاقه وتندرج تحت أحكامه ، وأن الحرية السياسية ركن من أركانه وفريضة من فرائضه ، وأننا نعمل جاهدين لاستكمال الحرية ولإصلاح الأداة التنفيذية فنحن كذلك ، ونعتقد أننا لم نأت فيه بشيء جديد ،فهذا هو المعروف عند كل مسلم درس الإسلام دراسة صحيحة ، ونحن لا نعلم دعوتنا ولا نتصور معنى لوجودنا إلا تحقيق هذه الأهداف . ولم نخرج بذلك قيد شعرة عن الدعوة إلى الإسلام ، والإسلام لا يكتفي من المسلم بالوعظ والإرشاد ، ولكنه يحدوه دائما إلى الكفاح والجهاد .

---

(١) سورة ص ٨٨

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] وعلى ذلك فالإسلام دين الوحدة في كل شيء وهو دين سلامة الصدور ، ونقاء القلوب والإخاء الصحيح ، والتعاون الصادق بين بني الإنسان جميعا فضلا عن الأمة الواحدة والشعب الواحد ، لا يقر نظام الحزبية ولا يرضاه ، ولا يوافق عليه ، والقرآن الكريم يقول :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[2]

ويقول رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين »[3] .

وكل ما يستتبعه هذا النظام الحزبي ، من تنابز وتقاطع ، وتدابر وبغضاء ، يمقته الإسلام أشد المقت ، ويحذر منه في كثر من الأحاديث والآيات ، وتفصيل ذلك يطول ، وكل حضراتكم به عليم .

وهنا لابد من ذكرفرق بين الحزبية التي شعارها الخلاف والانقسام في الرأي والوجهة العامة وفي كل ما يتفرع منها ، وبين حرية الآراء التي يبيحها الإسلام ويحض عليها ، وبين تمحيص الأمور وبحث الشئون والاختلاف فيما يعرض تحريا للحق ، حتى إذا وضح نزل على حكمه الجميع ، سواء أكان ذلك اتباعا للأغلبية أو للإجماع ، فلا تظهر الأمة إلا مجتمعة ولا يرى القادة ألا متفقين .

وعند الحديث حول السياسة لابد أن يكون واضحا أن الحكم ليس هدفا للأخوان لأشخاصهم بل الهدف هو أن يوجد الحكم الإسلامي ، ومتى وجد

---

(١) العنكبوت : ٦٩

(٢) آل عمران ١٠٣

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩١٩) والترمذي (٢٥٠٩) وأحمد (٦/٤٤٤) وابن حيان (موارد ١٩٨٢) وقال الترمذي : هذا حديث صحيح ،وصححهالألباني ص.ج.ص ٢٥٩٢ ـ غاية المرام ٤١٤ .

فالإخوان جند وأنصار للحكم وللحاكم المسلم وللحكومة المسلمة كائنة ما كانت وبهذا يقول البنا رحمه الله « وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإن وجد من الأمة ممن يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة ، والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه .

نموذج رجل الدعوة في حركة الإخوان :

إن الدعوات تسمو تظهر بظهور أفرادها وسموهم ، وتعرف الحركة سلبا وإيجابا بمنهجها النظري المقروء من خلال كتبها المتوبة من الثقات من أصحاب الحركة ، ومن مجموعها الفردي المنظور ـ الملاحظ في سلوكيات وحركات أصحاب الحركة ـ أما التصرفات الفردية الشاذة والتصريحات العفوية المتناثرة فهذه لا تمثل شيئا بالتنسبة لحركة ـ وذلك لطبيعتها في النشوء وللظروف المحيطة بها ، وهنا في هذه الخاتمة لهذا المبحث سأذكر النموذج الذي يسعى الإخون لإيجاده من خلال تربيتهم وتوجيههم بعد توفيق الله سبحانه .

١ ـ المجاهد الذي أخذت الدعوة جميع حواسه :

وبهذا يقول الإمام حسن البنا رحمه الله :

« أستطيع أن أتصور المجاهد قد أعد عدته وأخذ أهبته وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواحي نفسه وجوانب قلبه ، فهو دائم التفكير ،عظيم الاهتمام على قدم الاستعداد أبدا ، إن دعى أجاب ، أو نودي لبى . غدوه ورواحه ، وكلامه وجده ولعبه ، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له ، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته ، يجاهد في سبيلها ، تقرأ في قسمات وجهه ، وترى في بريق عينيه ، وتسمع من فلتات لسانه ما يدلك على ما يضطرم في قلبه من ألم دفين . وما تفيض به نفسه من عزمة صادقة وهمة عالية وغاية بعيدة » .

ويبعدون العنصر النفعي الخامل حيث يقول رحمه الله . أما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه : ويأكل ملء ماضغيه ، ويضحك ملء شدقيه ، ويقضي وقته لاهيا لاعبا عابثا ماجنا ، فهيهات أن يكون من الفـائزين ، أو يُكتب في عـداد المجاهدين .

٢ ـ الداعية المتحرك لله سبحانه :

فهو داعية راكضا إلى الله طالبا ، الاستشهاد في موقف خطبة ودعوة إلى الله ، كاستشهاد عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين خرج يدعو قومه إلى الإسلام وكان فيهم محببا مطاعا لدرجة أنه أحد الاثنين العظماء اللذين عناهما المشركون في قوله تعالى حكاية عنهم .

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[١] .

فلما أشرف لهم على غرفة له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله .

٣ ـ داعية عالي الهمة :

فالأخ في حركة الإخوان عالي الهمة كهمة الأسلمي رضي الله عنه الـذي يقول فيه ابن القيم : « إذا أردت أن تعرف من مراتب الهمم فانظر إلى همة ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه وقد قال له رسول الله ﷺ . سلني . فقال أسألك مرافقتك في الجنة . وكان غيره يسأله ما يملأ بطنه أو يواري جلده »[٢] .

---

(١) سورة الزخرف ٣١ .

(٢) مسلم رقم ٤٨٩ .

٤ ـ يمتاز الإخوان بصدقهم في عهدهم ووعدهم :

يتربى الأخ في الحركة على معاني الصدق التي كان يتحلى بها الصحابة رضوان الله عليهم كأمثال أنس بن النضر رضي الله عنه حيث روى أنس بن مالك[1] أن أنس بن النضر عمه غاب عن قتال بدر فقال : « أول مشد شهده رسول الله ﷺ لم أشهده لئن كان لرسول الله ﷺ قتال مع قريش بعد هذا اليوم ليرين الله « عز وجل » ، ما أصنع . وهاب أن يقول غير ذلك . فلما كان يوم أحد وانهزم الناس قال لسعد بن معاذ : ياسعد إلى أين ؟ واها لريح الجنة إني لأجد ريحها دون أحد ، فتقدم فقاتل حتى قتل ،وأصيب به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم . فما عرفته أخته إلا بثيابه . فنزل قوله تعالى :

﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾[2]

فكذلك يكون الوفاء بالعهد والعزم .

٥ ـ النموذج المتزن بجميع حالاته :

فهم يربونه على شجاعة يربطها حذر بعيدة عن التهور ورعونة الشباب ، وهذا الأمر من الجمع العجيب الذي لا يستطيعه كثير من الناس ، فالذي اعتاده الناظر إلى الشجعان أنهم يقطعون جميع الحبال من حولهم ، وكذلك يمتازون بطاعة يحدها ويضبطها وعي شرعي دقيق واضح لا تعميه التبعية الحزبية ولا السذاجة البشرية ، ويمتاز الأخ إضافة إلى ما ذكر بمحافظته على طاقته التي حباه الله إياها ، فهو مستقل لجميع قواه فيما يرجع بالفائدة على دعوته ، فطاقته يصرفها تخطيط لا جريا هنا وهناك من غير هدف واضح أو غاية محددة .

---

(١) البخاري فتح ٨/٣٥٨ ـ ٣٥٩ .
(٢) سورة الأحزاب ٢٣ .

٦ ـ الداعية الملتزم بالهدي النبوي :

فهو أسير في يد الشريعة ،ديدنه السنة ، فإذا هو بمنأى عن البدعة ومالم يكن عليه أمر رسول الله ﷺ . مشربه كوثر الحديث النبوي ، وحوض الخبر المصطفوي ، فهو يكرع من سلسبيل الإسلام الخالص ، ويشرب من عين الإيمان الصرف إن سئل عن طريقه قال : الإتباع ، وعن خرقته قال : لباس التقوى ، وعن مقصوده ومطلوبه قال : يريدون وجه الله . وعن قضائه لوقته بالغدو والآصال قال :

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾(١)

وفي ميادين الدعوة ورد الناس إلى طريق الحق . وعن نسبه قال :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

٧ ـ العامل الصابر :

فالإخوان يتربون على الصبر حتى أن أحدهم في أول الطريق يعلم ماقاله ابن القيم رحمه الله : « إن المؤثر لرضا الله متصد لمعاداة الخلق وآذاهم وسعيهم في إتلافه ولابد . هذه سنة الله في خلقه . وإلا فما ذنب الأنبياء والرسل الذين يأمرون بالقسط من الناس والقائمين بدين الله ، الذابين عن كتابه وسنة رسوله عندهم ؟ .

فمن آثر رضا الله فلابد أن يعاديه رذالة العالم وسقطهم وجهالهم وأهل البدع وا لفجور منهم . وأهل الرياسات الباطلة ، ومن إسلامه صلب كامل ، لا تزعزعه الرجال ولا تقلقله الجبال . ولا تحله المحن والشدائد والمخاوف .

---

(١) سورة النور ٣٦ .

وهم بذلك يعلمون أن ملاك الصبر أمران : التربية على الزهد في الحياة والثناء . فما ضعف من ضعف ، وتأخر من تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء وثناء الناس عليه ونفرته من ذمهم له . فهذا الطريق بالنسبة لهم لابد فيه من التكذيب والإخراج والإيذاء كما قال ابن القيم رحمه الله : « ويمر السالك إلى الله بمشهد الأسوة وهو مشهد شريف لطيف جدا ، فإن العاقل اللبيب يرضى أن يكون له أسوة برسل الله ، وأنبيائه وأوليائه ، وخاصته من خلقه ، فإنهم أشد الخلق امتحانا بالناس ، وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحذور ، ويكفي تدبر قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم وشأن نبينا ﷺ وأذى أعدائه له بما لم يؤذه من قبله . وقد قال له ورقة بن نوفل : لَتُكَذَّبَنَّ وَلَتُخْرَجَنَّ ولَتُؤْذَيَنَّ . وقال له : ما جاء أحد بمثل ما جيت به إلا عودي[1] . وهذا مستمر في ورثته كما كان في مورثهم ﷺ . أفلا يرضى العبد أن يكون له أسوة بخيار خلق الله وخواص عباده : الأمثل فالأمثل » .

٨ ـ المنفق الذي لا يبخل على دعوته :

فوصفهم كما قال مرشدهم الإمام حسن البنا رحمه الله :

لا يبخلون على دعوتهم يوما من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم ، فضلا عن كمالياتهم والفائض من نفقائهم ، وإنهم يوم حملوا هذا العبء عرفوا جيدا أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال ، فخرجوا عن ذلك كله لله .

وخلاصة الأمر : الأخ منهم في رحلته إلى الله تعالى مع كتيبة الحق وقافلة التوحيد حيث أصحاب الكفاية الثقات الربيون والوعاة الإسلاميون الذين أعدوا أنفسهم بالعلم والخبرة للنفير . فإذا أستنفروا بادروا وإذا بادروا أتقنوا ، وإن حمى الوطيس صبروا . لا يرضون حتى تبلغ الدعوة الغاية .

---

(١) البخاري (فتح ١/ ٣٠) .

وتمتص من جهدهم وفكرهم النهاية ، إذا أمروا فأمرهم يخلو من الخشونة وإذا أطاعوا فطاعتهم تخلو من المذلة . وإذا نقدوا فنقدهم يخلو من الإفساد والهدم أولئك النهاة الغاضبون والأمرة المبشرون ، المنتظمون المنظمون ، المربون المخططون الهادفون الملتزمون ، الذين إذا نُصِّبُوا قادة نصحوا ، وإذا جُنِّدُوا أطاعوا ، ولكل منهم قدرة على التفكير يصقلها وينميها بالمران بحمل نفسه على تحليل الواقع الذي يراه واستمداد مشاريع العمل والنشاط منه ، فعليهم الإسلام يحرص وبهم يدفع ، وبقلة منهم يقنع ، وعن أوتارهم يسمع اللحن الجميل .

﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾[1] .

فيالله ما أعنف زئيرهم بالنهار ، وما أحلى مزاميرهم التي استعاروها من آل داوود بالأسحار ، ثم حين يحقق لهم المنتقم الجبار نشيدهم الهدار :

﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾[2]

إذا انطلقوا فإلى هدف ، وإن نقدوا فبالتزام للتقى . بيعتهم ناجزة ، وطاعتهم واعية ، ونظرتهم وازنة ، وآفاقهم شاملة كل منهم يحرص على أن يكون أوثق سهم في كنانة القائد ، وأمنية أحدهم أن يلقى ربه مضمخا بدم الشهادة . يرون التكاليف الشرعية قرة عين ، وسرور قلب ، وحياة روح ، قد هجروا قوانين الطواغيت ودساتير الجبت .

رجال خالفوا أهواءهم . تحن قلوبهم للتقوى ، وترتاح للذكر . قد علموا أن الجهاد رهبانية الإسلام فنصبوا رماحهم وشهروا سيوفهم وتروا أقواسهم ، وعلموا أنهم لا يحلون عن رواحلهم إلا بين أهل القبور ، فنقضوا عنهم أدران الدنيا ، وعلت هممهم وصح سلوكهم ، أولئك جند الله حيث كانوا ، وأولئك

---

(١) سورة الصف ١٣ .

(٢) سورة ص ١١ .

الأئمة الهداة أطباء الدين وقادة المؤمنين ، أصحاب العيون الساهرة والدموع الهاطلة فهنيئا لمن كان في ركبهم وانتظم .

رجال تأدبوا بآداب رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا ، واقفون معه حيث وقف بهم ، سائرون معه حيث سار بهم ، غاضبون لغضبه ، راضون لرضاه ، مجيبون له إذا دعاهم .

أصل مذهبهم الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع والتمسك بالأئمة والاقتداء بالسلف وترك ما أحدثه الآخرون ، والمقام على ما سلك الأولون من الصحابة الذين هم عصابة الإسلام وبرك الإيمان وخلاصة الإحسان . فعلمهم صاف متلقى من مشكاة الوحي ، مشتبك بحديث رسول الله ﷺ .

رجال أيقنوا أن تعلم العلم لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكراتهم تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، فتعلموا حتى انكشف عن قلوبهم حجابها ، وزال عنها ظلامها وطلع عليها فجر التوحيد ، وبزغت فيها شمس اليقين ، واستنارت لهم الطريق الغراء والمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ، فنهضت قلوبهم في طلب الحق سبحانه وترك ما سواه ، تجردت إرادتهم فقذفت في قلوبهم جمرة الخشية فأحرقت كل ما هنالك ، وتزينت سرائرهم للحق كما تزينت علانيتهم للخلق .

الخاتمـــة

وفي الختام ، لماذا الإخوان المسلمون ؟ يكون الجواب بعد هذا الإستطراد :

لأنهم يجمعون جميع المعاني الإصلاحية ، وبهذا يقول الأستاذ حسن البنا رحمه الله : كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة ، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية ، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته ، والتقت عندها آمال محبي الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها ، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك إن الإخوان المسلمين :

١ ـ دعوة سلفية[1] :

لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

٢ ـ وطريقة سنية :

لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

٣ ـ وحقيقة صوفية :

لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل والإعراض عن الخلق والحب في الله والإرتباط على الخير .

---

(١) وقد أشبع الشيخ عصام البشير هذه المسألة بحثاً في مقالات نزلت في مجلة المجتمع حول الأصول العشرين مع مدخلاً لها ، والمقالات في الطريق للمطبعة لتصدر كتاباً أسأل الله أن ينفع به .

٤ ـ وهيئة سياسية :

لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر إلى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على وحدته إلى أبعد حد .

٥ ـ وجماعة رياضية :

لأنهم يعنون بجسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وأن النبي ﷺ يقول : « إن لبدنك عليك حقا »[١] وإن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدي كاملة صحيحة إلا بالجسم القوي ، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لابد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق ، ولأنهم تبعا لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع ـ وربما فاقت كثيرا ـ الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها[٢] .

٦ ـ ورابطة علمية ثقافية :

لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

٧ ـ وشركة اقتصادية :

لأن الإسلام يعني بتدبير المال وكسبه من وجهه ، وهو الذي يقول نبيه ﷺ :

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (فتح ٥/١٢١ ـ ١٢٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ووقع فيه « فإن لجسدك عليك حقاً » .

(٢) مجموع الرسائل .

« نعم المال الصالح للرجل الصالح »[1] ويقول : « من أمسى كَالاًّ من عمل يده أمسى مغفورا له »[2] ، « إن الله يحب المؤمن المحترف »[3] .

٨ ـ وفكرة اجتماعية :

لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولا لكل مناحي الإصلاح ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه الواحي وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعا ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعا .

ويوضح الأستاذ حسن البنا رحمه الله هذه القضية بقوله : **أيها الإخوان أنتم لستم جمعية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد . ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داوٍ يعلو مرددا دعوة الرسول ﷺ ، ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس . إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ ، والحكومة جزء منه ، والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم هذه سياسة ، فقولوا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام ، وإن قيل لكم أنتم**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٩٧ و ٢٠٢) من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه قال سمعت عمرو بن العاص . وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٥٤٩٤) .

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ١٧٠٤) .

دعاة ثورة ، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين ، وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا : « آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنتم به مشركين » وبعد هذا سيقول الناس ما معنى هذا وما أنتم أيها الإخوان إننا لم نفهمكم بعد فأفهمونا أنفسكم وضعوا لأنفسكم عنوانا نعرفكم به كما تعرف الهيئات بالعناوين .

هل أنتم طريقة صوفية ؟ أم جمعية خيرية ؟ أم مؤسسة اجتماعية ؟ أم حزب سياسي ؟ كونوا واحدا من هذه الأسماء والمسميات لنعرفكم بأسمائكم وصفتكم . فقولوا لهلاء المتسائلين : نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة :

طريقة صوفية نقية لإصلاح النفوس وتطهير الأرواح وجمع القلوب على الله العلي الكبير .

وجمعية خيرية نافعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتواسي المكروب وتبر بالسائل والمحروم وتصلح بين المتخاصمين .

ومؤسسة اجتماعية قائمة تحارب الجهل والفقر والمرض والرذيلة من أية صورة من الصور .

وحزب سياسي نظيف يجمع الكلمة ويبرأ من الغرض ويحدد الغاية ويحسن القيادة والتوجيه .

والحمد لله رب العالمين .

المبحث الثاني

شبهات وردود

قال سعيد بن المسيب : « إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه ، ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله »

البداية والنهاية ٩/ ١٠٠

لَفتَــةٌ

أخي الداعية . . .

لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها،فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته،وإلا فإذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار ممرا للشبهات . واعلم أن من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له مالا يحتمل لغيره ويعفى عنه مالا يعفى عن غيره ، فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ قُلَتين لم يحمل الخبث .

نصيحة ابن تيمية لتلميذه ابن القيم

الآثار الإيجابية ومناقب الإخوان

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد :

فإن خير الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

نحمد الله تعالى الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان وفضل العمل في سبيله وبركة معرفة سبيل الإخوان بارك الله فيهم .

أي الداعية لعلك علمت من دعوة الإخوان الكثير منذ أن بزغ فجرها وظهر نورها فعم وشمل أنحاء المعمورة . ثم سرى هذا النور بفضل من الله في قلوب الموات فأحياها ، ورسخ في حنايا النفوس فرباها ، وتأصل في أعماق الأرواح فوحدها . . . ودعوة الإخوان ليست بدعا في الدعوات فما هي إلا صدى الدعوة الأولى يدوي في قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم ليظهر عملا في تصرفاتهم وسلوكهم ، وقد صارحت دعوة الإخوان الناس جميعا بغايتها وجلت أمامهم مناهجها ، وتوجهت إليهم بدعوتها في غير لبس ولا غموض أضوأ من الشمس وأوضح من فلق الصبح ، وأبين من غرة النهار ، فمنذ عرفها الناس ماهي إلا دعوة بريئة نزيهة ، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية واحتقرت المنافع المادية ، وخلفت وراءها الأموال والأغراض ، ومضت قدما في الطريق التي يرسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]

وهذا فضل الله عليهم ومنته بدليل قوله :

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2] .

والداعية يتمنى أن تنظر الأمة إلى حركة الإخوان ، هل يرون فيها إلا حب الخير لهم ، والإشفاق عليهم والتفاني في صالحهم . ومضت الدعوة بحمد الله قدما ضاربة في شعاب الزمن ، لا يضرها من خذلها ، ولا من تولى عن صفوفها ، ولا من تحامل عليها ، تدعو المذبذبين والمضطربين ، والمترددين بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، وهي سائحة بعون الله تعالى غير عابئة بقلة ولا بكثرة . . .

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3]

وحسبها فخرا ـ والمنة لله ـ أن كانت سببا في هداية آلاف الشباب وعصمتهم من الفجور والزيغ وإن لم يدخلوا في صفوفها لأسباب مختلفة ، وهذا في ميزان الإسلام عظيم ، وطالما كانت دعوة الإخوان كالواحة في وسط الصحراء الموحشة المقفرة حين تأوي إليها جموع المسافرين ، فينعمون بظلها ومائها ويأنسون بأهلها ، وكثير عدد أولئك الشباب الذين احتضنتهم دعوة الإخوان في مراهقتهم ، واجتازت بهم فترة الشباب بسلام وتفيئوا ظلالها وأنسوا ، وإن أقعدهم الترغيب والترهيب بالسوط والدينار عن مواصلة السير معها .

وكم نقلت دعوة الإخوان شاكا إلى اليقين ، ومؤمنا جاهلا إلى العلم ،

---

(١) سورة يوسف ١٠٨ .

(٢) سورة الحجرات ١٧ .

(٣) سورة الأنفال ١٠ .

وهذا في الميزان الشرعي عظيم ، وكم أوضحت دعوة الإخوان من شبهة ، وردت تهمة ، وأشادت بمناقب مظلوم وكل ذلك في الميزان الشرعي عظيم .

ثم جاء في آخر المطاف من يستغرب فهمهم للإسلام وينكر عليهم الجهاد في سبيل الله ، ويثير حولها الشبهات ويحيطها بظلم الاتهامات ، ويحاول أن يلصق فيها كل نقيصة ، وأن يظهرها لمن حوله في أبشع صورة .

وهذا ما نراه إلا شخصا ساء فيهم ظنه ، وأحاطت به الشكوك والريبة ، فهو لا يراهم إلا بالمنظار الأسود القاتم .

وهذا الصنف ندعوه إن قبل الدعوة ، ونناديه إن أجاب النداء ، وندعو الله له سبحانه أهل الرجاء .

ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]

هذا وسنظل نجد ونرجو فيئه إلى الدعوة واقتناعه بصدق ونزاهة وعظمة هذه الحركة ، والشعار في ذلك ما روي عن المصطفى ﷺ : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »[2] .

وفي الختام نقول : إن الكثير من المناوئين لدعوة الإخوان المسلمين مطالبون بأن ينظروا إلى الدعوة نظرة إنصاف ، وهي التي تتقبل أحسن ما عملوا وتتجاوز عن نقصهم . وقد أسرف البعض في الابتعاد عن هذه النظرة فأحصى ما يظنه من أخطائهم مما صدر عن آحاد دعاة الحركة .

---

(١) سورة القصص ٥٦ .

(٢) تقدم تخريجه .

ومما لاشك فيه أن للدعوة من خلال انتشارها مناقب كثيرة . . . أقلها :

١ ـ حفظ الشباب من الإنحراف في المفاسد وإمدادهم بالسكينة الإيمانية والطمأنينة القلبية .

٢ ـ ولها كذلك صحف تدافع عن قضايا الأمة . . . وترد على الملحدين ، وكتب منهجية تعين الشباب على فهم الإسلام .

٣ ـ دورها في قتال اليهود والمستعمرين في فلسطين والقنال .

٤ ـ سعيها في إعانة الناس في نيل العلاج الطبي وضروريات الحياة وتوعية الأمة سياسيا .

وتقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للطغاة الظالمين . . . وإنشاء للمكتبات والمساجد . . . حتى إن الدعاة قد تجاوزوا في ذلك فبذلوا أموالهم وأوقاتهم إلى جانب بذل أرواحهم ودمائهم فنقش الرصاص صدورهم ، والتفت الحبال على أعناقهم ولفظت أنفاس كريمة تحت السياط في غرف التعذيب . . . هذا شيء مما فعلوا . . . وهذا شيء من تاريخهم وحاضرهم . . . فلماذا يكون التغاضي عن هذه الصور الفاضلة والمفاخرة المشرفة . . . ؟ ولماذا السعي إلى حصر المسألة في جملة أخطاء ورصدها . . . على فرض أنها أخطاء فعلا وأن الدعاة ليس لهم فيها تأويل .

وقضية الشبهات وإثارتها في وجه الدعاة إلى الله أمر قديم مضت به سنة الله في البلاد والعباد ، وفعل حكيم من رب كريم يراد به تمحيص القلوب وثباتها وازدياد يقينها كما قال الله ـ عز وجل ـ:

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[1]

---

(١) سورة فصلت ٤٣ .

والذي قيل للرسل هو :

﴿ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

والدعاة سائرون إلى الله وفق منهج الله ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ومن المقرر أن الشبهات لن تتوقف ولن يستطيع هذا البحث أن يحيط بجميع الشبهات . . . بل سأقتصر على بعضها . . . مع ذكر أصول عامة في الرد على الشبهات الخارجية من قبل بعض من أساء الظن وتشكك في سمو هذه الدعوة ، والله نسأل حسن المقصد في الكلام ، والعفة في اللسان ، والصدق في الحال . . .

والحمد لله رب العالمين



(١) سورة الذاريات ٥٢ ، ٥٣ .

الشبهات والرد عليها

المراد بالشبهة :

هي ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعي ، وحقيقة ما يدعو إليه ، فتمنع المدعو من رؤية الحق والاستجابة له ، أو تأخير هذه الاستجابة ، كما أنه غالبا ما ترتبط إثارة الشبهة بعادة موروثة ، أو مصلحة قائمة ، أو شهوة دنيوية ، أو حمية جاهلية ، أو سوء ظن ، أو غبش في الرؤية فتتأثر النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء . . وتجعلها حجة وبرهانا تدفع به الحق . . .

مراد مثيري الشبهات :

يحتج الكثير ممن يثيرون الشبهات حول الدعوة والدعاة ، أن هذا من قول الحق . . . وإنكار المنكر !!! وهم في الغالب ليسوا كذلك ، إذ يقترن بقولهم الحق الذي يزعمون الكثير من المفاسد التي تشير إلى أن هدفهم هو الفضيحة لا النصيحة . . !!

أصول رد الشبهات :

إن تتبع الشبهات والرد عليها أمر يصعب على الإنسان لأمرين :

الأمر الأول : إن أصحاب الحركة ما داموا يتحركون . . . فلا بد أن يصدر عنهم الخطأ ، وهذا أمر يدل على الحركة والعيش في الواقع . . . والصراع مع

الباطل الذي يحيط بهم ، وليس في ذلك منقصة إذا لم يصاحبه تعصب وإصرار ، بل النقص أن يجلس الدعاة عن الحركة والصراع مع الباطل بحجة الحرص على عدم الإنحراف عن دين الله ولا يعلم المسكين أنه بجلوسه . . . يمثل الإنحراف .

الأمر الثاني : إن الـذي يبحث عن الشبهات ويقيم كيـانه عـلى أعراض الناس ، ويقتات من لحومهم في اليل والنهار . . ، إنما يمثل دور الذباب في حياة البشر الذي يحوم باحثا عن القيح الناتج عن الأجزاء المريضة في الجسم التي هي من خواص الجسد ، وهذا الصنف من البشر مادام هذا همه . . فسيجد ما يقتات به حقيقة أو افتعالا . . .

لهذين الأمرين سيكون البحث في بعض الشبه لبيان معدن صاحب الشبهة مع العمل على بيان المنهجية في الرد على هؤلاء وأمثالهم وذلك بذكر أصول عامة يستعين بها أصحاب الحق في رد كيد أولئك في العموم .

وفي هذا المقام . . . لابد من ذكر حقيقة وهي أن الأصل هو عدم وضع الدعوة في قفص الاتهام والدفاع عنها . . . وأن المنهجية الصحيحة هي عـرض الدعوة وحقيقتها مع عدم الالتفات إلى أصوات الحاقدين من أشباه البشر ، وقد كان ذلك في البحث الأول بصورة قواعد عامة . . . والحمد لله ، ولكن الـذي دعانا إلى كتابة هذا الجزء هو قصور الناس في القراءة والاطلاع في بحثهم عن الحقيقة من مصادرها ، وتأثرهم بأسماء وأشكال من تصدر منهم هذه الشبهات . .

الأصل الأول :

الاحتكام إلى الكتاب والسنة : فالأصل الذي يجب ألا يحاد عنه هو الاحتكام إلى الله عز وجل . لأن الله عز وجل أمرنا بذلك . . . فقال تعالى :

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[1]

وقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2] .

فأمرنا ـ الله عز وجل ـ بطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام . . . ثم طاعة أولي الأمر . . فإن وقع الاختلاف سواء بيننا وبين ولي الأمر . . أو فيما بيننا فقط . . . فلا يكون الرد إلا لله ورسوله .

وبهذا يقول الأستاذ البنا رحمه الله ـ في الأصل الثاني (والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الشريف .

الأصل الثاني :

كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد . . . إلا المعصوم ـ ﷺ ـ وبهذا يقول الأستاذ البنا رحمه الله ـ في الأصل السادس (وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ـ ﷺ ـ وكل ما جاء عن السلف ـ رضوان الله عليهم ـ موافقا للكتاب والسنة قبلناه . . وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع . . ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو بجرح ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا .

---

(١) سورة الشورى ١٠ .

(٢) النساء ٥٩ .

وبهذا يقول الأستاذ حسن الهضيبي ـ رحمه الله : ـ

« وعلى ذلك كل امريء فيما عدا المعصوم ـ ﷺ ـ يؤخذ من قوله ويرد . . . فيؤخذ من قوله ماقام البرهان على أنه حق . . ويرد من قوله مالم يقم عليه ذلك البرهان ، ونحن حين نستشهد بأقوال السابقين من أئمة الفقه واللغة لايدور في خلدنا أن الواجب علينا إتباعهم في أي شيء قالوا . . ولكننا نحتج بفهمهم وهم أئمة الفقه والعاملون بمختلف أساليب الفقه » وعلى ذلك لايجوز الاحتجاج على الإخوان ببعض مجلات الإخوان ، أو ببعض الكتب التي ألفها أشخاص الإخوان ، لأنه لو جاز ذلك لاستطاع كل إنسان أن يهدم أي دعوة موجودة في معترك الدعوة والحركة .

الأصل الثالث :

لم يكن حسن البنا رحمه الله مجرد عالم يلقي دروس العلم على طلبة العلم ، ويحقق المسائل العلمية ، ولكنه كان ذلك الرجل الذي أبصر تضعضع الأمة الإسلامية وتأخرها وبعدها عن دينها ، وجهلها بهذا الدين ، وتسلط الأعداء عليها ، فأراد رحمه الله تعالى أن يعيد بناء الأمة من جديد ، ببناء الشخصية الإسلامية ، والجماعة الإسلامية التي تعيد للأمة أصالتها وحيويتها وخيريتها .

والباني في هذا المجال (ليس كالعالم) الذي يقول كلمة الحق ثم يذهب ولا يهمه الأثر الذي تتركه هذه الكلمة ، الباني يلاحظ أموراً كثيرة ، فهو يسير خطوة خطوة ، وهو يضع المراحل للعمل ، كل مرحلة تقيم البناء إلى مستوى معين ، ثم تتبعها مرحلة أخرى ، وهو في كل ذلك يتعامل مع واقع مر ، فالأعوان على الحق قلة ، والقادرون منهم على إحسان البناء أقل من القليل ، وبهذا القليل عليه أن يشق الطريق وسط العواصف الهوج ، وسط الخرافة والابتداع والإختلاف ، إنه يبني بناء ، والبناء لايكتمل في يوم وليلة ولافي شهور ، ومواجهة الواقع والباطل لايمكن أن تتم مرة واحدة .

إن النقاد الذين جلسوا في بروجهم العاجية يحاكمون دعوة الشيخ حسن البنا يخطئون كثيرا إذا لم يعلموا الهدف الذي كان يرمي إليه الشيخ رحمه الله ، بعضهم يحاسب دعوته في مرحلة من مراحلها ، وآخرون لا يستطيعون تصور الحركة فيظنون أن الشيخ متناقض ودعوته متناقضة لأنهم لا يستوعبون حركته في مراحلها .

وآخرون ينظرون إلى الجموع التي تضمها الجماعة ، الجموع التي تتربى في محاضن الدعوة فيحاسبون دعوة الإخوان ظانين أن كل هؤلاء من أعضاء الإخوان ، وآخرون يحاسبون الحركة بناء على سلوك أفرادها وعقيدتهم وتصوراتهم ، كما يحاسبنا الكفار على سلوكنا نحن المسلمين لا على المباديء التي نعتنقها .

والناقدون أصحاب مناهج مختلفة ، ومشارب متعددة ، وكل يرى الصواب في صفة ويحاكم دعوة الإخوان وفق ما يظنه الصواب ، وقد يكون الصواب في جانب الأخرين وقد يكون الصواب معه ، ولكن نقده منصب على قضية جزئية .

إن الشيخ حسن البنا أراد أن يحدث في الأمة تيارا إيمانيا إسلاميا بعد أن خبا الإيمان في النفوس ، وأخذ يربط بين الذين تابعوه برباط الإخوة الإسلامية ، وأخذ المد الإسلامي يمتد هنا وهناك ، وتغلغل في أوساط الجامعات والجيش والوزارات فكان يوجه الناس إلى الإسلام وفق مفهومات بسيطة واضحة ، كان يصوغها أحيانا ببراعة ليواجه تمزق الأمة وضياعها .

ولم يكن الذين يعملون على خطا « البنا » في كل مكان على نفس المستوى الذي كان عليه الإمام ، لقد تفاوت أتباعه على الفقه عنه ، ولكنه استطاع أن يحدث هذا التيار العام وأصبح المتفاعلون مع التيار قابلين للنماء .

هذا هو الإطار الذي يجب أن ينظر فيه إلى حركة الإخوان ، والنظرة الجزئية هنا وهناك لن تكون سديدة مالم يفهم صاحبها الإطار الذي نمت فيه هذه الدعوة .

لم يكن الشيخ حسن البنا مدرس عقيدة ولا مدرس فقه ولكنه كان يدعو للإسلام ويربي عليه ويوجه إليه ويجمع الناس عليه . كان لديه فهم جيد للإسلام ، ولكنه كان يضع المعالم والحدود ولا يعني بالتفاصيل والجزئيات ، وفي ضوء هذا يمكننا أن نناقش الكتابات التي ينقدون فيها جماعة الإخوان . . . وعلى ذلك فمن المسلمات في البناء الحركي للحركة الإسلامية أن :

١ ـ السلفية ليست جماعة بالمفهوم الذي وصفناه عندما تحدثنا عن الإخوان ، فالسلفية تمثل فهما للإسلام في مقابل الفهوم الأخرى للإسلام من قبل الفرق التي انحرفت في فهمها وهذا الفهم كان موجودا في حال وجود الدولة الإسلامية ، فالأصل أن يكون جميع الدعاة على منهج السلف رضوان الله عليهم يتحركون به فهماً واستنباطاً ، عملاً واعتقاداً ، لا أنه جماعة من الجماعات وحزب خاص من الأحزاب .

٢ ـ دعوى أن الإخوان لايملكون تصوراً عقائديا واضحا ، دعوى تفتقر إلى الأدلة وما ذكر الناقدون ولا ينهض على الاستدلال ، فالشيخ حسن البنا وضع في رسائله كثيرا من الأسس العقائدية الواضحة ، وهو في هذا يوجه إلى القرآن والسنة ففيهما حياة القلوب وشفاؤها .

والشيخ حسن البنا يدرك الفارق بين مذهب السلف والخلف جيدا ، ولكنه بحس الداعية الذي يريد أن يقارب بين وجهات النظر يحاول أن يبين إن الفارق بين السلف والخلف ليس كبيرا ، ثم هذه وجهة نظر لايطعن بسببها في عقيدة الرجل ، أما كونهم يسعون إلى التعاون بين الطوائف الإسلامية والمذاهب الإسلامية فإن السعي لتحقيق ذلك لا يضير مادام المسلم عارفاً للمنهج الحق ولا يتنازل عنه وحسبك أن الشيخ حسن البنا حدد معالم الفهم عنده في الأصول العشرين .

كما أنه لم ينفرد الشيخ حسن البنا وحده بذكر ، التصوف الذي يعني بتربية النفس وتقويم السلوك بعيدا عن الخرافات والبدع بل مدحه.كثيرون[1] وقد نفى الشيخ حسن البنا أن يكون الكشف . . . سبيلا لمعرفة الحق ولا يؤخذ به إذا صادم النص .

الأصل الرابع :

نحن لا ننكر أن الشيخ حسن البنا والأستاذ سيد قطب رحمهما الله ترقيا في الفقه والفهم وهذه طبيعة كل عالم مخلص يتبع الحق كلما تبدى له ، وحسبنا أن نعلم أن الشافعي له مذهبان : القديم والجديد ، والجديد كان لما علمه من الحق وتبين له ، وبسبب نضجه في آخر عمره رحمه الله .

(١) انظر المجلد العاشر من فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية وانظر مقالات فقه الدعوة من مجلة المجتمع بعنوان غنيمة لنا فيها سهم .

تفصيل الشبهات والرد عليها

الشبهة الأولى :

(إن حركة الإخوان المسلمين لا تملك تصورا عقائدياً واضحا) .

الرد :

لقد أوضحنا في الفصل الأول عند الحديث عن منهج العقيدة عند الإخوان مايبين سلفية العقيدة الإخوانية وأهميتها ، وبذلك نرى تركيز الإمام البنا رحمه الله على أهمية العقيدة حيث يقول : « **وأريـد بالأخـوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة أوثق الروابط وأقواها** »[1] .

وركزعلى دعوة الناس إلى هذه العقيدة وأن الإخوان يدعون إلى ذلك وهذا في قوله : « **ولب دعوتهم فكرة وعقيدة يقذفون بها نفوس الناس ليتربى عليها الرأي العام وتؤمن بها القلوب وتجتمع من حولها الأرواح** »[2] كما أننا عندما ننظر إلى الأصول العشرين ونرى نسبة وجود قضايا العقيدة نُلاحظ أن هناك تركيز عجيب يدل على وضوح القضية ووضوح أهميتها . . . فعلى سبيل المثال : ـ « **موضوع العقيدة** » نراه في الأصول الآتية :

---

(١) مجموعة الرسائل (حسن البنا) مؤسسة الرسالة ص ٢٢ .

(٢) مجموعة الرسائل (حسن البنا) مؤسسة الرسالة ص ٩٨ .

١ ــ **جزء من الأصل الأول** : تعريف العقيدة وارتباطها بالعمل « كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة » .

٢ ــ **الأصل الثالث** : أثر الإيمان على المسلم ـ الجزء الأول .

٣ ــ **الأصل الرابع** : عن التمائم . .

٤ ــ **الجزء الأخير من التاسع** : عن الصحابة وما يتعلق بهم رضوان الله عليهم .

٥ ــ **الأصل العاشر** : توحيد الألوهية والربوبية .

٦ ــ **الأصل الحادي عشر** : في البدع في دين الله ومحاربتها .

٧ ــ **الأصل الثالث عشر** : في الصالحين والكرامات .

٨ ــ **الأصل الرابع عشر** : القبور وما يتعلق بها .

٩ ــ **الأصل الخامس عشر** : الدعاء والتوسل .

١٠ ــ **الأصل السابع عشر** : العقيدة وارتباطها بالعمل .

١١ ــ **الأصل الثامن عشر** : العقل والنقل في العقيدة .

١٢ ــ **الأصل التاسع عشر** : العقل والنقل في العقيدة .

١٣ ــ **الأصل العشرين** : التكفير وما يتعلق به .

أما بقية مواضيع الأصول فهي كالآتي :

* **الموضوع الثاني : الدعوة :**

١ ــ **الأصل الأول** : الشمولية في الفهم الإسلامي .

* **الموضوع الثالث : المنهج :**

١ ــ **الأصل الثاني** : الأصل في فهم المسلم ومرجعه في ذلك « الكتاب والسنة » .

٢ ــ **الأصل السادس** : أن العصمة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكذلك الموقف من الاختلاف .

٣ ـ **الجزء الأول من الأصل التاسع** : عدم الخوض في مسائل العمل وترك التشقيقات .

٤ ـ **السادس عشر** : العُرف وأثره في الفهم .

*** الموضوع الرابع : الفقه :**

١ ـ **الأصل السابع** : في الاجتهاد والتقليد .

٢ ـ **الأصل الثامن** : الخلاف في الفروع والنزاع فيها .

٣ ـ **الأصل الثاني عشر** : في العبادات والزيادة فيها وفهم العلماء لذلك .

أما سيد رحمه الله فله دور كبير في توضيح إحدى نواحي الألوهية المهمة والتي درس عليها الزمان ، ألا وهي قضية الحاكمية لله سبحانه وتعالى .

وأصحاب هذه الشبهة يذكرون أموراً يدللون بها على قولهم :

أ ـ التفويض عند الأستاذ حسن البنا رحمه الله :

وهذه من الشبه التي تثار حول عقيدة الأستاذ البنا رحمه الله وعلى ذلك لابد من بيانها والرد عليها .

ـ إن التفويض الذي عناه الأستاذ حسن البنا رحمه الله لم يكن بالمعنى المذموم . . . وإنما هو تفويض الكيفية كما قال الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن كيفية الاستواء قال : « الإستواء معلوم والكيف مجهول » أي نرجع كيفية الإستواء إلى الله سبحانه وتعالى فهو سبحانه أدرى بكيفية الاستواء الذي يليق بجلاله . . . فأي غلط في ذلك .

والذي يثبت أن مراد الأستاذ البنا رحمه الله هو تفويض الكيفية :

١ ـ أنه فصل في آيات الصفات في أكثر من مكان فلو كان يقصد تفويض المعنى لما تكلم عن تفصيل آيات الصفات والأسماء كما في رسالة « العقائد » مثلاً،أما كونه رحمه الله قد جعل آيات الأسماء والصفات في المتشابه في قوله : « ومعرفة

الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه من أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما لحق بذلك من المتشابه نؤمن به كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ولا نتعرض لما جاء فيه من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه[١] : « وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا »[٢] فلفظة المتشابه أطلقت على كيفية الاتصاف وهذا يتبين من خلال تتبع نصوص الإمام البنا رحمه الله ولم يكن يعني « المعنى قطعا » .

وبجواز إطلاق المتشابه على الكيفية يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : « واعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه وهذا من جهة غلطومن جهة قد يسوغ كما بينه مالك بن أنس بقوله«الأستواء غير مجهول والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب » فكون الإستواء غير مجهول يدل على أن معناه غير متشابه بل هو معروف عند العرب[٣] ، وقوله

---

(١) الأصل العاشر من الأصول العشرين . وأكد هذا في قوله رحمه الله :«ولست مطالباً بمعرفة كنهها ، وإنما حسبك أن تعلم آثارها في الكون ، ولوازمها في حقك ، والله نسأل العصمة من الزلل وحسن التوفيق» . مجموعة الرسائل «العقائد» ص ٣١٧ .

(٢) سورة آل عمران ٧ .

(٣) ومعنى الإستواء عند أهل اللغة والتفسير وحقيقته هو العلو والإرتفاع انظر الصواعق ٢ / ١٤٥ وعلو الله بأنواعه الثلاثة ثابتة له سبحانه ـ علو الذات ، علو القدر ، علو القهر وبهذه قال ابن القيم رحمه الله في النونية .

والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكرانِ

وتفاسير السلف رضوان الله عليهم في الإستواء تدور حول أربعة معاني :

« استقر ـ علا ـ ارتفع ـ صعد »

وبهذه قال الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته :

فلهم عبارات أربع قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذا ار تفع الذي مافيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآني

« والكيف غير معقول » يدل على عجز البشر عن إدراكه ، وما استأثر الله بعلمه يسمى متشابها بناء على الوقف في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] فهو بالنسبة إلى المعنى غير متشابه وبالنسبة إلى كيفية الإتصاف به متشابه بناء على أن المتشابه ما استأثر الله بعلمه[2]. أما أنه رحمه الله يرى من خلال النص السابق عدم الخوض في مسائل العقيدة المختلف فيها وترك التعرض لأحد ، فهذا يعني أن الأستاذ البنا رحمه الله يرى أن يكون ترسيخ العقيدة في قلوب الناس بطريقة المصطفى ﷺ ، وهي بناء العقيدة بواقع سلوكي حي متحرك بعيد عن التعقيدات الفلسفية ، ممتزج بالروح الإيمانية الطاهرة ، فالداعية يشرح قضية الإيمان

---

(١) آل عمران ٧ .

(٢) منهج ودراسات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٣٢،والذي يجعلنا نفهم كلام الشيخ حسن البنا رحمه الله بهذه الصورة معرفتنا بجهاده ودعوته وحرصه على إحياء السنة وإماتة البدعة ، وهو نفس السبب الذي يجعلنا نصرف بعض عبارات ابن قدامة في ـ لمعة الإعتقاد ـ إلى أن مراده تفويض الكيفية لا المعنى ولتوضيح هذا الأمر ننظر في « لمعة الإعتقاد » في هذه المسألة فنرى هذه النقول : « وكل ما جاء في القرآن ، أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن ، وجب الإيمان به ، وتلقيه بالتسلم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل ، والتشبيه والتمثيل وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله » ص ٤ وغير ذلك من النقول التي قد تشكل على الطالب فيوضحها العلماء المجتهدين كما بين الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين مفتي منطقة القصيم ، ومرجع الشباب فيها حفظه الله فقال حفظه الله في شرحه للمعة الإعتقاد ص ٢٠ .

إنه لاكيف ولا معنى أي لانكيف هذه الصفات لأن تكييفها ممتنع لما سبق وليس مراده أن لا كيفية لصفاته لأن صفاته ثابتة حقا وكل شيء ثابت فلابد له من كيفية لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا . وقوله : ولا معنى أي لانثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف فإن هذا ثابت ا . هـ.

وهذا الذي عمد إليه الشيخ إنما هو منهج الجمع بين نصوص العلماء رحمهم الله وعدم ضرب بعض كلامهم ببعض تأدباً معهم فالإمام ابن قدامه رحمه الله كما ذكر النص السابق ، ذكر معه نص الإمام مالك في المسألة بعد ذكره لآيات الصفات انظر التفصيل من لمعة الإعتقاد ص ١٣ ـ ١٥ ، ومن نصوص الإمام حسن البنا التي تجمع في هذه المسألة قوله رحمه الله في رسالة « العقائد عن المعطلة : فرقة

والعقيدة وفق المنهج الصحيح ، وذكر الأمر الذي يجب أن يتحلى به المسلم في عقيدته حتى يكون مؤمنا . . . فهذا هو الرسول ﷺ يقول للجارية : « أين الله

= عطلت معاني هذه الألفاظ على أي وجه ، يقصدون بذلك نفي مدلولها مطلقاً من الله تبارك وتعالى » العقائد ص ٦٥ وكذلك قوله :

(أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت ونترك المقصود منها لله تبارك وتعالى فهم يثبتون اليد والعين والإستواء والضحك والتعجب . . . إلى آخره ، وكل ذلك لاندركها ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها » مجموعة رسائل الإمام حسن البنا المؤسسة الإسلامية ط الثانية ص ٤١٢ .

وقوله رحمه الله « قدمت لك أن السلف رضوان الله عليهم يؤمنون بآيات الصفات وأحاديثها كما وردت ويتركون بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى مع إعتقادهم بتنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه . نفس المرجع ص ٤١٤ .

وممن ذكرهم الإمام حسن البنا كأمثلة لرجال السلف الذين يتبنى معتقدهم بالتفويض « أبو القاسم اللالكائي في كتاب أصول السنه ، وذكر الخلال في كتابه السنة ، وذكر أبو بكر الأثرم وأبو عمرو الطلمنكي أحد أئمة المالكية وهو شيخ أبي عمر بن عبدالبر صاحب كتاب « الوصول إلى معرفة الأصول » انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٢ /١٣٣ ، وغيرهم رحمهم الله وهؤلاء لا يقول قائل أنهم كانوا يفوضون المعنى بل هم على مذهب الإمام مالك رحمه الله وانظر زيادة فيهم ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ج ٦ ص ٥٢ ، ج ٥ ص ٢٤ ، ص ٤٥ من الفتاوي وقد ذكر من مثل قول الإمام حسن البنا رحمه الله الدكتور محمد جميل غازي عند كلامه على توحيد الصفات عند الإمام محمد بن عبدالوهاب فقال : ومحمد بن عبدالوهاب ـ ونحن معه ـ لا يؤمن إلا برأي السلف الذي يقول : « إننا نؤمن بهذه الصفات على ظاهرها ولا نؤول فيها ، ونفوض علمها إلى الله عز وجل انظر « مجدد القرن الثاني عشر الهجري شيخ الإسلام : محمد بن عبدالوهاب ، د . جميل غازي ص ٥٦ مكتبة المدني . فالواضح أن المراد هو تفويض الكيفية ، ولذلك يقول الإمام محمد الأمين الشنقيطي :

(فكون الإستواء غير مجهول يدل على أن معناه غير متشابه بل هو معروف عند العرب وإن معناه الارتفاع في ا لإعتدال والكيف غير معقول يدل على عجز البشر عن إدراكه وما استأثره الله بعلمه يسمى متشابها بناء على الوقف في قوله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ فهو بالنسبة إلى الصفة غير متشابه وبالنسبة إلى كيفية الإتصاف به متشابه بناء على أن المتشابه ما استأثر الله بعلمه أ. هـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات طبعة الدار السلفية ص ٣٥ . =

فتقول « في السماء » فيقول لسيدها « أعتقها فإنها مؤمنة » [1]

وهنا لم يدخل معها في غياهب الاصطلاحات وضلال الفلسفات . . فهذا هو المنهج التربوي للصحابة[2] لا نرى فيه خوضا في مسائل علم الكلام مع أنها كانت على قوتها عند اليونان والإغريق فهل ساعد هذا المنهج على إنتشار الآراء المخالفة في العقيدة بين الصحابة ؟ نستغفرك اللهم ونتوب إليك .

= وحول الفهم الصحيح لمراد العلماء من ألفاظهم وعباراتهم قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله في رسالته فتح رب البرية بتلخيص الحموية في الباب السابع ص ٦٣ ما نصه : «اشتهر عن السلف كلمات عامة وأخرى خاصة في آيات الصفات وأحاديثها فمن الكلمات العامة قولهم : (أمروها كما جاءت بلا كيف) روي هذا عن مكحول والزهري ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي .

وفي هذه العبارة رد على المعطلة والمشبهة ففي قولهم (أمروها كما جاءت) رد على المعطلة وفي قولهم (بلا كيف) رد على المشبهة .

وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله تدل على ذلك من وجهين :

(الأول) : قولهم (أمروها كما جاءت) فإن معناها إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا (أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها) ونحو ذلك .

(الثاني) : قولهم : (بلا كيف) فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته من لغو القول .

فإن قيل : ما الجواب عما قاله الإمام أحمد في حديث النزول وشبهه (نؤمن بها ونصدق لا كيف ولا معنى) قلنا : الجواب على ذلك أن المعنى الذي نفاه الإمام أحمد في كلامه هو المعنى الذي ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم وحرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معاني تخالفه .

ويدل على ما ذكرنا أنه نفى المعنى ونفى الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين طائفة المعطلة وطائفة المشبهة» . وذكر الشيخ في هذا المعنى في لمعة الاعتقاد ص ٢١ .

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي .

(٢) خرج الإمام أحمد في « مسنده » عن أبي رزين قال : قال رسول الله ﷺ « ضَحِكَ رَبُّنا مِنْ قُنوطِ عِبَاده ، وقُرْب غَيره » قال قُلت : يا رسول الله أَوَ يَضحَكُ الرَّبُّ عز وجل ، « قال نعم » ، قلت لَنْ نَعدِمُ من ربٍّ يَضحَكُ خيراً ، مسند الإمام أحمد المجلد الرابع ص ١١ ، سنن ابن ماجه ١ / ٦٤ رقم

ب ـ الاعتزال عند سيد قطب :

يقول الباحثون عن ذواتهم من خلال طعنهم في الآخرين بأن سيد رحمه الله ينكر الرؤية بدليل تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] فيقول : زيادة من فضل الله غير محدودة ، وبهذه العبارة استدل هؤلاء العباقرة على اعتزال سيد رحمه الله ، فالله المستعان ، وما علموا أن ابن كثير يقول في قوله تعالى « وزيادة » ، « هي تضعيف ثواب الأعمال ويشمل ما يعطيهم الله في الجنة من القصور والحور والرضى عنهم ، وما أخفاه من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجه الله الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته[2] ، ثم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك وهنا نرى ابن

---

٢٨١ . وضعفه الشيخ ناصر ض ج ص ، وصفة الضحك ثابتة بأحاديث كثيرة أنظر البخاري رقم ٣٧٩٨ الفتح السلفية ٧/١٣٩ .

ومعنى هذا الحديث : أن الله تعالى يضحك من أن العبد يصير مأيوساً من الخير بأدنى شر وقع عليه ، مع قرب تغييره تعالى الحال من شر إلى خير ، ومن مرض إلى عافية ، ومن بلاء ومحنة إلى سرور وفرحة .

والشاهد من سياق هذا الحديث هنا هو بيان كيفية تعامل الصحابة رضوان الله عليهم من النصوص الثابتة لصفات الله تبارك وتعالى ، فهو تعامل عملي مُترابط مع مجموعة صفات ربنا تبارك وتعالى ، بعيدٌ عن السفسطة الجدلية والمحاقة القولية ، فلم يتعب الصحابي نفسه بغير ما كلفه الله ، وأثبت ما أثبته النبي ﷺ لربه تبارك وتعالى فقال : (لن نفقد الخير من رب يضحك) وقال الآخر ـ عوف بن الحارث « ابـن عفراء ـ في غزوة بدر : يا رسول الله ما يُضحك الرب من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدو حاسراً » فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل رحمه الله » هكذا كان يتربى الجيل القرآني مع صفات الله تبارك وتعالى بعيدا عن التأويل والتعطيل والتشبيه .

(١) سورة يونس/ ٢٦ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٢/١٩١ .

كثير ذكر العام والمفصل ، أما سيد رحمه الله فذكر العام بقوله : « زيادة من فضل الله غير محدودة » ثم فصل القول عندما أثبت الرؤية وذم رأي المعتزلة في تفسيره للآيات ٢٢/٢٣ من سورة القيامة ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ فقال : « فكيف ، كيف بها وهي تنظر لا إلى جمال صنع الله ولكن إلى جمال ذات الله [١] فلنتطلع إلى فيض السعادة الغامرة الهادي وفيض الفرح المقدس الطهور الذي ينطلق من مجرد تصورنا لحقيقة الموقف على قدر ما نملك ولنشغل أرواحنا بالتطلع إلى هذا الفيض فهذا التطلع ذاته نعمة لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم .

وحقيقة إختلافه مع المعتزلة تتضح خلال ردوده على الزمخشري وهو رأس الإعتزال وذلك في عرض تفسيره لقوله تعالى :

﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ﴾ [٢]

جـ ـ أشعرية سيد قطب رحمه الله :

قبل البدء في هذه القضية لابد من ذكر بعض من الحقائق :

الحقيقة الأولى : أن الأشاعرة هم أقرب الفرق إلى رأي أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بإثبات الأسماء والصفات .

الحقيقة الثانية : أن معظم فقهاء الأمة من بعد الأئمة الأربعة نجد عندهم تأويلات كالتي عند المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري ، وذلك راجع إلى إنتشار هذا المذهب وتبنيه من قبل الشيوخ الذين كانوا يعلمونه لتلاميذهم ، وهكذا في الجامعات ومناهجها .

---

(١) الظلال ، سيد قطب ، الشروق ٤/٢٣٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء / ٦٩ ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الظلال في هذه الآية ، وكذلك في خصائص التصور .

الحقيقة الثالثة : أن العالم قد يقع في الخطأ ، وهذا أمر بشري مقرر لا خلاف فيه ، ولكنه قد يرجع عن هذا الخطأ ، ويتخلى عما كتب وقال في هذا المجال ، هذا إن أسعفه الوقت .

الحقيقة الرابعة : إن الخطأ إذا جاء من العلماء العامبين المجاهدين لايبرر كونه خطأ ، ولكن لايقال فيهم أكثر من أنهم بذلوا جهدهم للوصول إلى الصواب فوصلوا إلى هذا الأمر فقط[1] .

الحقيقة الخامسة : ماذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين : أن حكم التأويل على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله فهذا معفو عنه لأن هذا منتهى وسعه وقد قال الله تعالى : ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ الآية .

الثاني : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً .

القسم الثالث : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له »[2] .

الحقيقة السادسة : أن سيد رحمه الله عندما بدأ بالحركة والعمل الجهادي ما كان يخرج من محنة حتى يدخل بالأخرى إلى أن قال كلمة الحق عن رئيس ظالم فقتله رحمه الله .

---

(١) وفي هذا الأمر كلام لطيف لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جوابه على ما الذي يجب على المكلف اعتقاده ؟ وما الذي يجب عليه علمه ؟

فأجاب رحمه الله على وجه التفصيل «على كل مكلف أن يُقر بما ثبت عنده ؛ من أن الرسول ﷺ أخبر به وأمر به ، وأما ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به ؛ ولم يمكنه العلم بذلك ؛ فهو لا يُعاقب على ترك الإقرار به مفصلاً ، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام ، ثم إن قال خلاف ذلك متأولاً كان مخطئاً يغفر له خطأه ، إذا لم يحصل منه تفريط ولا عدوان » « الفتاوي ٣٢٨/٣ ـ ٣٢٩ » .

(٢) شرح لمعة الاعتقاد ص ١٩ .

هذه قواعد يجب فهمها عند الحديث عن النقد لأي فكر مطروح . . .
ولإكمال الصورة نذكر نموذجين لكلام سيد رحمه الله الذي أخذ فيه تبنيه لمذهب التأويل :

النموذج الأول : تفسيره لقوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]

فيقول « لامجال للخوض في معنى الإستواء إلا أنه رمز السيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين » هذه هي العبارة التي ذكرها سيد قطب رحمه الله وبمثلها في هذا الموقع قال إبن كثير تلميذ ابن القيم رحمهما الله في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي قصده إلى السماء . والإستواء هنا متضمن معنى القصد والإقبال[2] .

النموذج الثاني : تفسيره رحمه الله لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3]

---

(١) سورة البقرة/ ٢٩ . و«إلى» في هذه الآية غائية مكانية أو زمانية ولا إشكال فيها وذكرنا لها لورودها في سياق كلام المنتقدين.

(٢) مختصر ابن كثير للصابوني ـ الطبعة الثانية ـ طبعة دار القرآن ١/ ٤٨ . كما أن منهج التأويل هذا قد وقع فيه من قبل علماء فحول،كتبهم مرجع في فهم أحاديث النبي ﷺ والذين منهم أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب الفتح حيث قال على صفة الضحك « ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما » فقال الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله بمنهج العالم العارف لحقوق العلماء : « ليت المصنف نزه كتابه عن بيان غير بيان رسول الله ﷺ ؛ واكتفى بأن قال : ضحك وعجب يليق بجلاله عز وجل ، والكلام في الصفات كالكلام في الذات : إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل « ليس كمثله شيء هو السميع البصير » وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . أ. هـ. الفتح /السلفية ٧/ ١٢٠ . منهج معتدل يؤكده حفظه الله حتى لا يتجرأ طالب متحمس أو مدفوع أهوج إلى تتبع نسخ الفتح في المكتبات ويقوم بتشطيب الكلام الذي لا يعجبه والذي لا يفهمه ، ويكتب عبارات لا تصدر إلا من جاهل ، وهذا الذي نقول إنما هو من واقع مرأى في مكتبات المساجد ، والله الهادي إلى الصواب .

(٣) سورة الأعراف / ٥٤ .

يقول رحمه الله : إن عقيدة التوحيد الإسلامية لاتدع مجالا لأي تصور بشري عن ذات الله سبحانه ولا عن كيفيات أفعاله ، فالله سبحانه ليس كمثله شيء . ومن ثم لامجال للتصور البشري لينشىء صورة عن ذات الله ، فكل التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء ، فإذا كان الله سبحانه ليس كمثله شيء توقف التصور البشري إطلاقا عن إنشاء صورة معينة لذاته تعالى ، ومتى توقف عن إنشاء صورة معينة لذاته العلية فإنه يتوقف تبعا لذلك عن تصور كيفيات أفعاله جميعا ولم يبق أمامه إلا مجال تدبر آثار هذه الأفعال في الوجود من حوله وهذا هو مجاله . ومن ثم تصبح أسئلة كهذه ، كيف خلق الله السماوات والأرض ؟ كيف استوى على العرش ؟ كيف هذ العرش الذي استوى عليه سبحانه ؟ تصبح هذه الأسئلة وأمثالها لغوا يخالف قاعدة الاعتقاد الإسلامي [1] .

هذا في تفسيره لآية (٥٤) من سورة الأعراف ، أما ما ورد في السجدة آية (٤) والفرقان آية (٥٩) وطه آية (٥) والرعد آية (٢) ويونس آية (٣) والحديد آية (٤) فهي تمثل المرحلة ماقبل رجوعه وتبينه للقضية ، فمن المعروف أن سيد رحمه الله بدأ بإعادة النظر فيما كتب في الظلال ، فأضاف وحذف ولكن أجله جعله يقف عند الجزء الرابع عشر كما يقول بعض من لهم صلة به . وهذا الرجوع في المنهج بين آية الأعراف ، فهي تبين منهجية سيد رحمه الله في رجوعه للصواب إذا تبين له . ورجوع الكاتب عما كتبه يحتاج إلى نفسية يندر أن تجدها عند أصحاب الفكر . وعلى ذلك تحمل الآيات التي ذكرناها على منهج سيد رحمه الله في الرجوع كما في سورة الأعراف .

ويتضح المنهج في موضوع التعامل مع أسماء الله وصفاته عند حديثه عن ظلال آية ١٧٢ من سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم . . .**﴾ فقال رحمه الله «أخرج ابن جرير وغيره - بإسناده -

---

(١) الظلال طبعة دار الشروق ١٢٩٦/٣ .

عن ابن عباس قال: «مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة. . . فأخذ مواثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم: «ألست بربكم؟ قالوا: بلى». . وروي مرفوعاً وموقوفاً على ابن عباس. وقال ابن كثير: إن الموقوف أكثر وأثبت. . .

فأما كيف كان هذا المشهد؟ وكيف أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم؟ وكيف خاطبهم: «ألست بربكم» وكيف أجابوا: «بلى شهدنا»؟ . . فالجواب عليه: أن كيفيات فعل الله ـ سبحانه ـ غيب كذاته. ولا يملك الإدراك البشري أن يدرك كيفيات أفعال الله مادام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله. إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية. وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذي يحكيه قوله هذا كقوله تعالى: «ثم استوى إلى السماء وهي دخان. . ». . «ثم استوى على العرش». . «يمحو الله ما يشاء ويثبت». . «والسماوات مطويات بيمينه». . «وجاء ربك والملك صفاً صفاً». . «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم». . إلى آخر ما تحكيه النصوص الصحيحة عن فعل الله سبحانه، لا مناص من التسليم بوقوعه، دون محاولة إدراك كيفيته. . إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية كما قلنا. . والله ليس كمثله شيء. فلا سبيل إلى إدراك ذاته ولا إلى إدراك كيفيات أفعاله. إذ أنه لا سبيل إلى تشبيه فعله بفعل أي شيء، مادام أن ليس كمثله شيء. . وكل محاولة لتصور كيفيات أفعاله على مثال كيفيات أفعال خلقه، هي محاولة مضللة، لاختلاف ماهيته ـ سبحانه ـ عن ماهيات خلقه. وما يترتب على هذا من اختلاف كيفيات أفعاله عن كيفيات أفعال خلقه. . وكذلك جهل وضل كل من حاولوا ـ من الفلاسفة والمتكلمين ـ وصف كيفيات أفعال الله، وخلطوا خلطاً شديداً !

د. سيد قطب رحمه الله ووحدة الوجود: ـ [1]

دار الحديث في هذا الموضوع حول قوله رحمه الله في تفسير قوله تعالى في سورة

(١) انظر أقسام الفناء فيما يأتي.

الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ حيث قال : « ومتى استقر هـذا التصور الـذي لايرى في الوجود إلا حقيقة الله فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها ، وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه . ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئا في الكون إلا الله ، لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله »[١] .

وهذه العبارة على مافيها من خفاء في المعنى وبعض الإبهام ، فهي تتضمن في ذاتها الفرق بين الخالق والمخلوق وذلك في قوله : « فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق من إرادة الله » . ثم إن سيد قطب رحمه الله هـاجم وحدة الوجود بنصوص واضحة وصريحة ، فهو يقول : « والنظرية الإسلامية : أن الخلق غير الخالق وأن الخالق ليس كمثله شيء ومن هنا ينتفي من التصور فكرة وحدة الوجود »[٢]*

---

(١) الظلال طبعة دار الشروق ٦/٤٠٠٣ .

(٢) انظر مثل هذه العبارات في الظلال ١/١٠٦ ، ٣/١٨٠٥ ، وانظر خصائص التصور طبعة الإتحاد ص ٣٠٨ .

* وهنا في الهامش أود الإستطراد في أقسام الفناء الصوفي لأن وحدة الوجود جزء منه ، وكذلك لأن كثيرا من المتعجلين يجعلونه قسم واحد ، وهذا خطأ في التصنيف يتبعه خطأ في تعميم الحكم .

أقسام الفناء : ـ

(١) الفناء عن وجود السوي ـ أي عن سوى الله ـ وهذا هو فناء الملاحدة من أصحاب وحدة الوجود فهو الفناء في الوحدة المطلقة ، ونفي التكاثر فالرب عين العبد ، والعبد هو عين الرب ، بل لا وجود إلا واحد والتعدد وهم .

(٢) الفناء عن شهود السوي ـ أي لايشاهد سوى الله ـ وهي الدرجة المتوسطة ، وهي التي بني عليها الهروي كتابه منازل السائرين وحقيقتها : « غيبة أحدهم عن سوى مشهودة ، بل غيبة مشهوده بنفسه فهو يثبت الوجود والموجودات ، ولكنه ينساها في الشهود لأنها تلهيه عن اله ، فهو يفنى بالمشهود عن الشهود ، وبالمعبود عن العباد ويسمى ذلك سكرا أو محوا أو جمعا » .

(٣) الفناء عن مراد السوى شائماً برق الفناء ، سالكا سبيل الجمع على ما يحبه الله ويرضى ، بمعنى أنه يقدم مراد الله على مراده .

أما قول سيد رحمه الله « ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله » فيعني أن الموجودات كلها إنما هي من خلق الله وتنادى بأعلى صوتها على وجود الله ووحدانيته وألوهيته ، حيث إنه يعقب هـذه الفقرة قـوله رحمـه الله : « فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود انبثق عنها ، وهذه درجة يرى القلب فيها يد الله في كل شيء » .

وخلاصة الأمر أن من لم يترب من خلال القرآن ، لايستطيع أن يعيش مع كتابات سيد قطب رحمه الله لذلك عليه أن ينظر في هذه القواعد التي تحميه من الزلل :

١ ـ أن يجمع بين النصوص لسيد قطب رحمه الله ، فيحمل المجمل على المفصل والمبهم على الواضح .

٢ ـ أن يلجأ إلى النسخ : فتفسير سورة البقرة الذي كتبه سيد قطب رحمه الله في الطبعة الثانية المحققة بعد سورة الحديد والإخلاص لأنه لم يصل إليهـا في الطبعة الثانية المحققة بل وصل إلى الجزء الرابع عشر في الطبعة الثانية .

٣ ـ أن يرجح بين النصوص المتعارضة عند سيد قطب في كتبه فيرجع عبارة النص « في سورة البقرة » مثلا ، على إشارة النص في سورتي « الإخلاص والحديد » ويرجح المنطوق والصريح (في مهاجمـة وحدة الـوجود) على المنطوق غير الصريح في السورتين السالفتين ، ومثال المنطوق الصريح في سورتي البقرة والنساء قوله رحمه الله : ـ

(إن مقام العبودية غير مقام الألوهية وإنهما متمايزان بلا امتزاج)[١] .

وفي ختام الحديث في هذه الفقرة نذكر ما قاله الدكتور عمر الأشقر في مقابلة له مع المجتمع عن سيد قطب رحمه الله فقال : إن سيد رحمه الله عندما اتجه في دراسة

---

(١) ممكن الرجوع لمقال للدكتور عبدالله عزام المجتمع العدد ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ للمزيد من البيان .

الإسلام كان على درجة كبيرة من الإخلاص ولذلك وصل إلى قضايا رئيسة في المنهج السلفي مثل الفصل بين منهج القرآن والمنهج الفلسفي ، وعدم خلط منابع الإسلام بغيره والاقتصارعلى الكتاب والسنة والتحاكم إلى الكتاب والسنة ، لا إلى الأشخاص والرجال فهو لايرد الآية والحديث بقول رجل أو عالم .

وسيد قطب رحمه الله اتخذ أسلوب استنباط المنهج السلفي من النصوص ، ولكنه لم تتح له الفرصة أن يتدارس المنهج كما أتيحت لنا ، لذلك قد تكون هناك بعض النقاط الغامضة التي اشتبهت عليه ولو وصلت له بها دراسة واضحة لتخلص منها ولا شك لأنه لم يكن متبعا للهوى[1] *.

هـ ـ الدعاء وقرنه بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه :

أنكر على الأستاذ حسن البنا رحمه الله قوله في الأصل الخامس عشر :

« والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس في مسائل العقيدة » .

فقالوا بأن دعوة الإخوان تأثرت بالفكر الصوفي من خلال هذا الأمر ، والتوسل بدعة عقائدية كبيرة ، وأن الخلاف فيه جوهري وليس فرعي .

وبيان هذه الدعوى يتضح بالآتي : -

١ ـ قول المرشد رحمه الله إنه خلاف فرعي في كيفية الدعاء :

هذا القول ليس خاصا به رحمه الله بل يمكن استخلاصه من كلام الشيخ الألباني عندما قال :

(١) سيد قطب ومنهجه ـ لقاء مع الشيخ عمر الأشقر في المجتمع العدد ٤١١ .

* هذه ردود سريعة ونماذج واضحة ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب التي ذكرت ذلك .

« فيما سبق نعلم أن التوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وجرى عليه عمل السلف الصالح وأجمع عليه المسلمون هو :

١ ـ التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته .
٢ ـ التوسل بعمل صالح قام به الداعي .
٣ ـ التوسل بدعاء رجل صالح « بأن يدعو ويؤمن على دعائه » .

وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات (ففيه خلاف) والذي نعتقده وندين الله بـه أنه غير جائز ولا مشروع ، لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة ، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة ، مع أنه قال ببعضه بعض الأئمة فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين[1] .

ثم يقول الشيخ الألباني « **فمن رأى أن توسل الأعمى[*] كان بذاته ﷺ فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليه كما نقل عن الإمام أحمد والعز بن عبدالسلام** »[2] .

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص ٤١ .
(٢) نفس المرجع ص ٧٤ .
* أخرجه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ ، فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك، فهو خير ، (وفي رواية : وإن شئت صبرت فهو خير لك) ، فقال : ادعه : فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، فيصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه ، فتقضى لي ،اللهم فشفعه في (وشفعني فيه) قال ففعل الرجل . فبرأ . ص ١٦ .
وسند الحديث وروايته كما يذكر الشيخ ناصر الدين الألباني . أخرجه في المسند (٤/١٣٨) ، ورواه الترمذي (٤/٢٨١ ـ ٢٨٢ بشرح التحفة) وابن ماجه (١/٤١٨) والطبراني في الكبير (٣/٢/٢) والحاكم (١/٣١٣) كلهم من طريق عثمان بن عمر (شيخ أحمد فيه) عن شعبة عن أبي جعفر المدني قال : سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان به ، وقال الترمذي « حسن صحيح غريب » وفي ابن =

= ماجه عقبه : « قال أبو اسحاق حديث صحيح » ثم رواه أحمد : ثنا شعبة به ، وفيه الرواية الأخرى ، وتابعه محمد بن جعفر ثنا شعبة به . رواه الحاكم (١/٥١٩) وقال : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وقد أعله بعضهم كصاحب (صيانة الإنسان) . وصاحب (تطهير الجنان ص ٣٧) وغيرهما بأن في إسناده أبا جعفر ، قال الترمذي : (لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وليس الخطمي) فقالوا : هو إذن الرازي ، وهو صدوق ولكنه سيء الحفظ .

قلت : ولكن هذا مدفوع بأن الصواب أنه الخطمي نفسه . وهكذا نسبه أحمد في رواية له (٤/١٣٨) ، وسماه في أخرى : (أبا جعفر المدني) وكذلك سماه الحاكم . والخطمي هذا لا الرازي هو المدني . وقد ورد هكذا في (المعجم الصغير) للطبراني ، وفي طبعة بولاق من سنن الترمذي أيضا . ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة ، ويروي عنه شعبة ، كما في إسناده هنا ، وهو صدوق ، وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه . (٦٩ ، ٧٠) التوسل وأنواعه للألباني وانظر ما قاله ابن تيمية في القاعدة ص ٩٣ .

التوسل بالنبي ﷺ أمر مختلف فيه .

وهنا في الهامش نود الإستطراد قليلا في هذا البحث لبيانه وإزالة اللبس فيه :-

(١) يقول ابن تيمية رحمه الله في هذا الموضوع :

(وفي الجملة فقد نقل عن بعض السلف والعلماء السؤال به ، بخلاف دعاء الموتى من الأنبياء والملائكة والصالحين ، والإستغاثة بهم والشكوى إليهم ، فهذا مما لم يفعله أحد من السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٩٢) ويذكر كذلك في الفتاوي ـ جمع عبدالرحمن بن قاسم ـ في معرض جوابه على سائل يسأله عن التوسل والإستغاثة ، وقول عز الدين بن عبدالسلام في مسألة التوسل فقال في بيان الفرق بين التوسل والإستغاثة :

(لم يقل أحد : إن التوسل بنبي ، هو استغاثة به ، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور ، كقول أحدهم : أتوسل إليك بحق الشيخ فلان ، أو بحرمته ، أو أتوسل إليك باللوح والقلم ، أو بالكعبة ، أو غير ذلك ، مما يقولونه في أدعيتهم ، يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور ، فإن المستغيث بالنبي ﷺ طالب منه وسائل له ، والمتوسل به لا يدعي ولا يطلب منه ولا يسأل ، وإنما يطلب به ، وكل أحد يفرق بين المدعو والمدعو به) . الفتاوي ج ١ ص ١٠٣ .

ثم يستطرد في موضوع الإستغاثة ، ويرد على من قال بأن التوسل هو الإستغاثة فيقول :

« وقول القائل : إن من توسل إلى الله بنبي . فقال : أتوسل إليك برسولك فقد استغاث برسوله حقيقة ، في لغة العرب وجميع الأمم قد كذب عليهم . فما يعرف هذا في لغة أحد من بني آدم ، بل الجميع يعلمون أن المستغاث مسئول به مدعو ، ويفرقون بين المسئول والمسئول به ، سواء استغاث بالخالق أو بالمخلوق ، فإنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على النصر فيه . والنبي ﷺ أفضل مخلوق يستغاث به في مثل ذلك » الفتاوي ج ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

ويذكر رحمه الله الفرق بين التوسل بالنبي ﷺ وغيره من المخلوقين : =

= « والتوسل إلى الله بغير نبينا ﷺ ـ سواء سمي استغاثة أو لم يسم ـ لانعلم أحدا من السلف فعله ولا روى فيه أثرا ، ولا نعلم فيه إلا ما أفتى به الشيخ من المنع ، وأما التوسل بالنبي ﷺ ، ففيه حديث في السنن ، رواه النسائي والترمذي وغيرهما : أن إعرابيا أتى النبي ﷺ فقال : يـا رسول الله : إني أصبت في بصري فادع الله لي فقال له النبي ﷺ :« توضأوصَلِّ ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، يا محمد إني أتشفع بك في رد بصري . اللهم شفع نبيك في » وقال : فإن كانت حاجة فمثل ذلك » فرد الله بصره . تقدم تخريجه ، فلأجل هذا الحديث استثنى الشيخ التوسل به (يقصد العز بن عبدالسلام) ثم ينـهي الإجابة على سؤال السائل في مسألة التكفير أوعدم التكفير فيما يتعلق بالتوسل فيقول رحمه الله :

« وأما من قال : إن من نفى التوسل الذي سماه إستغاثة بغيره كفر ، وتكفير من قال بقول الشيخ عز الدين وأمثاله ، فأظهر من أن يحتاج إلى جواب ، بل المكفر بمثل هذه الأمور ، يستحق من غليظ العقوبة والتعزيز ما يستحقه أمثاله ، من المفترين على الدين ، لاسيما مع قول النبي ﷺ : « من قال لأخيه : كافر فقد باء بها أحدهما » . أخرجه البخاري « الفتح ١٣ / ١٢٩ » عن أبي هريرة . وأما من قال : مالا يقدر عليه إلا الله لا يستغاث فيه إلا به ، فقد قال الحق بل لو قال كما قال أبو يزيد : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق ، وكما قال الشيخ أبو عبدالله القرشي استغاثة المخلوق بالمخلوق كإستغاثة المسجون بالمسجون لكان قد أحسن . فإن مطلق هذا الكـلام يفهم الإستغاثة المطلقة ، كما قال النبي ﷺ لإبن عباس « إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بـالله » أخرجـه أحمـد (١ /٢٩٣ و ٣٠٧) والـطبـراني في الكبـير (١٢٩٨٨) والبيهقي في الشعب (١ /١٤٨) وابن السني في عمل اليوم ٤٢٥ ، والترمذي (٢٥١٦) وقال حسن صحيح ، وصححه الألباني ـ ص ج . ص ٧٨٣٤ ـ ظلال الجنة ١٣٨٨ .

وإذا نفى الرسول عن نفسه أمرا كان هو الصادق المصدوق في ذلك ، كما هو الصادق المصدوق في كل ما يخبر به من نفي ، وإثبات ، وعلينا أن نصدقه في كل ما أخبر به ، من نفي ، واثبات ، ومن رد خبره تعظيما له ، أشبه النصارى ، الذين كذبوا المسيح في اخباره عن نفسه بالعبودية ، تعظيما له ، ويجوز لنا أن ننفي ما نفاه ، وليس لأحد أن يقابل نفيه بنقيض ذلك البته . والله أعلـم . (الفتـاوي ج ١ ص ١٠٦) . ويقول رحمه الله :

« وأما القول القائل : اللهم إني أتوسل إليك به . فللعلماء فيه قولان : كما لهم في الحلف به قولان : وجمهور الأمة كمالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، عـلى أنه لايسـوغ الحلف بغيره من الأنبيـاء ، والملائكة ، ولا تنعقد اليمين بذلك باتفاق العلماء ، وهذا إحدى الروايتين عن أحمـد ، والروايـة الأخرى تنعقد اليمين به خاصة دون غيره ، ولذلـك قال أحمد في منسكه الـذي كتبه للمـروذي صاحبه : إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه ، ولكن غير أحمد قال : إن هذا إقسام على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق وأحمد في إحدى الروايتين قد جوز القسم به ، فلذلك جوز التوسل به .

ولكن الرواية الأخرى عنه : هي قول جمهور العلماء ، أنه لا يقسم به ، فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة ، والأنبياء ، فإنا لا نعلم أحدا من السلف والأئمة قال إنه يقسم به على الله ، كما لم يقولوا إنه =

= يقسم بهم مطلقا ، ولهذا أفتى أبو محمد بن عبدالسلام : أنه لا يقسم على الله بأحد من الملائكة والأنبياء وغيرهم ، لكن ذكر له أنه روي عن النبي ﷺ حديث في الاقسام به فقال : إن صح الحديث كان خاصا به والحديث المذكور لا يدل على الاقسام به ، وقد قال النبي ﷺ : « من كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت » أخرجه البخاري « الفتح ١٤/٢٣٥ - ٣٣٦ » ومسلم (١٦٤٦) عن عمر . وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » أخرجه أحمد « ٢/٣٤ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ١٢٥ » والترمذي (١٥٣٥) وصححه ابن حبان (موارد ١١٧٧) والألباني ص ج . ص. ٦٨٠ والدعاء عبادة ، والعبادة مبناها مع التوقيف والإتباع ، لا على الهوى والإبتداع والله أعلم .

ويقول الشيخ ناصر الدين الألباني : لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته ﷺ ، فيكون حكماً خاصاً به ﷺ ، لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين ، وإلحاقهم به لا يقبله النظر الصحيح ، لأنه ﷺ سيدهم وأفضلهم جميعاً ، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم ككثير مما صح به الخبر ، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات ، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته ﷺ ، فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليه ، كما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبدالسلام رحمهما الله تعالى .

ويقول في ص ٧١ في التعليق على حديث الأعمى « أما نحن فنرى أن هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه وهو التوسل بالذات » .

حكم التوسل بالنبي ﷺ :

حرام ، من الأمور المبتدعة على الصحيح ، قال شارح الطحاوية عند حديثه عن التوسل بالنبي ﷺ « هذا ونحوه من الأدعية المبتدعة » شرح العقيدة الطحاوية طبعة المكتب الإسلامي ص ٢٦٢ ، وقد استعرض العلماء أدلة المجيزين وردوا عليها - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٦٢ وما بعدها ، وانظر التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي ص ١٨٥ وما بعدها ، والتوسل وأنواعه للشيخ ناصر الدين الألباني ، وانظر كذلك قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية . وللإختصار لن أذكر إلا ما ذكر حول حديث الأعمى لوجود الإشكال فيه ، أما غيره من أدلة المانعين فهي مابين الضعف والوضع ، وما هو صحيح منها فمراد الدعاء منها واضح وأنها ليست في محل الخلاف .

بيان أن المراد في حديث الأعمى الدعاء :

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد تدليله أن المراد الدعاء من النبي ﷺ :

وذلك أن قبول دعاء النبي ﷺ في مثل هذا هو من كرامة الرسول ﷺ على ربه ، ولهذا عد هذا من آياته ودلائل نبوته ، فهو كشفاعته يوم القيامة في الخلق ، ولهذا أمر طالب الدعاء أن يقول : « فشفعه في وشفعني فيه » قاعدة جليلة ص ١٠٠ .

(٢) ويقول الشيخ ناصر في إثبات أن المراد من حديث الأعمى الدعاء : -

أ - إن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له ، وذلك في قوله : « ادع الله أن يعافيني » فهو قد توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ ، لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره ، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى =

= أن يأتي النبي ﷺ ، ويطلب منه الدعاء له ، بل كان يقعد في بيته ، ويدعو ربه بأن يقول مثلا : « اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني ، وتجعلني بصيرا » . ولكنه لم يفعل ، لماذا لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم ، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة ، يذكر فيها اسم المتوسل ، بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة ، وطلب الدعاء منه له .

ب ـ إن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ماهو الأفضل له ، وهو قوله ﷺ : « إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك » . وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ـ أي عينيه ـ فصبر ، عوضته منهما الجنة» . (التوسل وأنواعه ص ٧٠ وما بعدها) الحديث أخرجه البخاري ـ الفتح ١٢ / ٢٢٠ عن أنس .

جـ ـ إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله : « فادع » فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له ، لأنه عليه الصلاة والسلام خير من وفي بما وعد ، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق ، فقد شاء الدعاء وأصر عليه ، فإذن لابد أنه عليه الصلاة والسلام دعا له ، فثبت المراد ، وقد وجه النبي ﷺ الأعمى بدافع من رحمته ، وبحرص منه على أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه ، وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع ، وهو التوسل بالعمل الصالح ، ليجمع له الخير من أطرافه ، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه ، وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له ، وهي تدخل في قوله تعالى ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ .

وهكذا لم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به ، بل شغله بأعمال فيها طاعة الله سبحانه وتعالى وقربه إليه ، ليكون الأمر مكتملا من جميع نواحيه ، وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى ، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء ـ كما هو ظاهر ـ وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون .

د ـ إن الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول : « اللهم فشفعه في » وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ ، أو جاهه ، أو حقه ، إذ أن المعنى : اللهم اقبل شفاعته ﷺ في ، أي اقبل دعاءه في أن ترد على بصري ، والشفاعة لغة الدعاء ، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة ، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء ، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمرا ، فيكون أحدهما شفيعا للآخر ، بخلاف الطالب الواحد الذي يشفع غيره ، قال في « لسان العرب » : « الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره ، والشافع الطالب لغيره ، يشفع به إلى المطلوب ، يقال تشفعت بفلان إلى فلان ، فشفعني فيه » .

فثبت بهذا الوجه أيضا أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لابذاته . (التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص ٧١ ـ ٧٤) . =

* الإدعاء بأن الإخوان يمجدون التصوف ويدعون إلى إقامة الدين عليه

وأولئك يبنون هذه الدعوى على فهم معكوس ، ولنستبين ذلك سنذكر أشد العبارات في كتب الأستاذ البنا رحمه الله ، والتي يمكن أن يشم منها الباحث عن

= ويقول محمد نسيب الرفاعي كذلك في كتابه التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع :

أ ـ إن قول الأعمى في آخر الدعاء الذي علمه إياه رسول الله ﷺ « اللهم شفعه في » دليل على الدعاء ، لأن الشفاعة من رسول الله ﷺ لا تسمى شفاعة ولا تكون إلا بدعاء الشافع للمشفوع له فدعاء الأعمى أن يقبل الله شفاعة رسول الله ﷺ فيه يدل على أن رسول الله ﷺ قد دعا له فعلا ، والأعمى يطلب من الله قبول دعاء رسول الله ﷺ .

ب ـ وقوله « وشفعني فيه » أي اقبل دعائي في قبول دعائه من أجل أن ترد إلي بصري ، فهذا يثبت أن رسول الله ﷺ دعا من أجل أن يرد الله بصر الأعمى .

جـ ـ إن معنى التوسل المتبادر إلى أذهان الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت كان محصوراً فقط في طلب الدعاء من المتوسل به ، وليس له المعنى المتعارف عليه عند البعض في وقتنا الحاضر - أي التوسل بذات المتوسل - « التوصل إلى حقيقة التوسل ، الرفاعي ص٢٣٨ - ٢٣٩ » .

وأما من رأى أن توسل الأعمى كان بذاته ﷺ فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليه ، كما نقل عن الإمام أحمد والعز بن عبدالسلام ـ ذكر ذلك الشيخ ناصر الألباني في « التوسل وأنواعه وأحكامه ص ٧٧ » .

وعلى هذا فالأمر لم يتفرد به الشيخ البنا رحمه الله ، فقد ذكره الشيخ ناصر الألباني عندما قال في مقدمة العقيدة الطحاوية (فهذه سبع مسائل هامة كلها في العقيدة إلا الأخيرة منها ، وهي كراهة التوسل بحق الأنبياء وجاههم) . شرح الطحاوية للألباني ص ٥٥ ط ٤ .

وحسن البنا مع ذلك يقول في الأصل الثالث عشر : -

ومحبة الصالحين والثناء عليهم مما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى ، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ . والكرامة ثابتة بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لايملكون لأنفسهم نفعا ولا خيرا في حياتهم أو بعد مماتهم فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم .

فهذه هي عقيدة الإخوان في الأولياء فأي خدش فيها !!!

وفي الأصل الرابع عشر يقول : « وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الإستعانة بالمقبورين أياً كانوا ونداؤهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم من قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لهذه الأعمال ، سداً للذريعة .

العـورات شيئا يكـون عنده سـلاح يضـرب به أعـراض المسلمين ويقـطع بـه لحومهم : -

١ ـ قول الأستاذ حسن البنا رحمه الله عند الحديث عن مراحل الدعوة ومـرحلة التكوين « إنها استخلاص العناصر الصـالحة لحمـل أعباء الجهـاد ، وضم بعضها إلى بعض ، ونظام الدعوة في هذا الطور صـوفي بحت من الناحيـة الروحية ، وعسكري بحت من الناحية العملية »[١] .

٢ ـ قول الأستاذ سعيد حوى في كتابه جولات في الفقهين الكبير والأكبر :

« ومن أجل تذوق العقائد الإسـلامية وإقـامة الأحكـام الفقهية قـام علم التصوف في الأصل ، ثم بعد ذلك خرج من أصل الوضع ، فبدلا من أن يكون تابعا لعلمي العقائد والفقه صار متبوعا فحدث نتيجة ذلك شر كبير »[٢] .

هذان هما أكثر ما يذكره الناقدون .

للبيان والرد سنذكر قاعدتين من هذين النصين :

القاعدة الأولى : يجب أن يفهم اللفظ بحسب المسميات لا الأسماء ، كما أورد الشيخ حسن البنا رحمه الله في الأصل السادس عشر « والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها ، كما يجب الإحتراز في الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسيات لا الأسماء » .

وبهذا يقول الشيخ الصابوني [٣]: « يجوز للمسلمين أن يستعملوا لفظ غلب

---

(١) مجموع الرسائل مؤسسة الرسالة ص ٢٠ .

(٢) جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما ـ سعيد حوى جـ ١ ط ٣٩ .

(٣) صفوة التفاسير للصابوني .

عليه الذم في معنى حسن كما قال ﷺ رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله »[1] مع أن معنى الرهبانية قد ذم في القرآن كما قال الله عز وجل :

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[2] .

والرهبانية كما يقول أبو حيان « رفض النساء وشهوات الدنيا واتخاذ الصوامع ، ومعنى إتبدعوها أي أحدثوها من عند أنفسهم » .

القاعدة الثانية : أن الأستاذ حسن البنا رحمه الله كان لا يقر الطرق الصوفية في عهده على ماهي عليه ، ولـذلك تكلم عن بعض القضايا الصوفية ، التي يتحدث بها أهل الطرق الصوفية ووضع لها ضوابط شرعية مثل : (الأصل الثالث) « وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه » .

(الأصل الثالث عشر) : « ومحبة الصالحين وإحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربه إلى الله تبارك وتعالى ، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[3]

---

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه ابن حبان (موارد ٩٤ و٣٢٣) وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٨ و ١٦٦) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ثنا أبي عن جدي عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ذر . قال الطبراني : لم يرو هذا عن يحيى إلا ولده و هم ثقات .

قلت : إبراهيم بن هشام مختلف فيه وثقه الطبراني وذكره ابن حبان « الثقات » وقال أبو حاتم وأبو زرعة : كذاب وله شاهد من حديث أنس أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦) وفيه زيد بن الحواري وهو ضعيف وله شاهد آخر من حديث ابي سعيد أخرجه أحمد أيضا (٣/ ٨٢) وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٠ ـ الصحيحة ٥٥٥) .

(٢) سورة الحديد ٢٧ .

(٣) سورة يونس ٦٣ .

والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع إعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لايملكون لأنفسهم نفعا ولا خيرا في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم » .

وقد أخذ المرشد من الطرق الصوفية المعاني الإسلامية المعروفة ، مثل طهارة النفس ، وتزكية القلب ، والمواظبة على العمل ، والحب في الله ، والارتباط في الخير . وهذه كلها معان دعا إليها الإسلام وحث عليها الرسول ﷺ . ولكن أئمة الصوفية ألفوا وكتبوا فيها وصارت علما عليهم فجاء الأستاذ حسن البنا رحمه الله فجعل له من كل غنيمة سهما . والمتتبع لما كتب الأستاذ حسن البنا رحمه الله يجده قد ذم الصوفية عندما تكلم عن اسم الله الأعظم الذي هام به الصوفية فقال معلقا « وخلاصة البحث أن بعض الناس ولعلوا بالمعميات وإدعاء الخصوصيات والزيادة في المأثورات ، فقالوا مالم يرد في كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن ذلك نهيا شديدا فلنقف مع المأثور »[1] وما ذكره الأستاذ البنا رحمه الله في المذكرات عن الصوفية يوضحه قوله في نفس مذكراته عن رأيه بالتصوف حيث يقول : (وسوف لا أحاول الإستقصاء العلمي أو التعميق في المعاني الإصطلاحية ، فإنما هي مذكرات تكتب عفوا الخاطر فتسجل ما يتردد في الذهن ما تتحرك به المشاعر فإن تكن صوابا فمن الله ولله الحمد ، وإن تكن غير ذلك فالخير أردت ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وقد بين في مذكراته ـ رحمه الله ـ ما طرأ على فكرة التصوف من تجاوز وغلو ودخول المتزندقة والكفرة بإسم التصوف ، ثم دعا المصلحين أن يشمروا لإصلاح أولئك الناس فقال ما نصه : « ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد علوم

(١) مجموعة الرسائل للأستاذ حسن البنا رحمه الله ص ٤٤٨ ـ رسالة العقائد مذكرات الإمام البنا ص ١٥ .

السلوك والتربية ، ولو وقفت عند هذا الحد لكان خيرا لها وللناس ، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولى إلى تحليل الأذواق ومـزج ذلك بعلوم الفلسفـة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها ، فخلطت بذلـك الدين بما ليس فيه وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ، ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف والرغبة في الحصول على هذه النتائج الروحية الباهرة ، وأصبح كل ما يكتب أو يقال في هذه الناحية يجب أن يكون محل نظر دقيق من الناظرين في دين الله والحريصين على صفائه ونقائه »[1] .

أما ما قد يقوله البعض أن نشأته الصوفية قد أثرت عليه وجعلته ينهل من نبع غير صاف ، فالرد بعد حمد الله ـ أن الإمام البنا كان متشربا بالفكر السلفى ، لا يتعصب للآراء بل يرتاح للحديث الصحيح ، ويسعى إلى ربط الناس بكتاب الله وسنة رسوله بأسلوب بعيد عن الفلسفة واصطلاحات أهل الكلام ، وهذه كلها من أصول الدعوة السلفية . وقد كان والده من المحدثين فقد رتب مسند الإمام أحمد بن حنبل على أبواب الفقه بتأليف أسماه الفتح الرباني ، وكان يوجه ولده دائما إلى اتباع الرسول ﷺ والاقتداء به . كما أن نشأة الإنسان على أمر لا يعني أن يتشبر به فقد كان بعض شيوخ أهل الحديث نشأتهم مبتدعة ، ولكنهم خرجوا عن الابتداع وأصبحوا من أشد الناس عداوة للبدعة .

يثيرون حول الإخوان أنهم يعتبرون الخلافات الفقهية أمرا يسعه الإسلام وإن كانت هذه الإختلافات تخالف النصوص ، وأنهم يدعون إلى التعصب المذهبي !!

هذا الإدعاء يبطله ما ننقله من قول البنا رحمه الله في رسالة المؤتمر الخمس ص ١٧ حيث يقول « فأما بعدنا عن مواطن الخلاف الفقهي فلأن الإخوان

(١) مذكرات الدعوة والداعية للأستاذ البنا رحمه الله المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ص ٢٤ .

يعتقدون أن الخلاف في الفرعيات أمـر لابد منـه ـ إذ أن أصول الإسـلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف في فهمها وتصورها العقول والأفهام لهذا كان الخلاف واقعا بين الصحابة أنفسهم ومازال كذلك وسيظل كذلك إلى يوم القيامة . وما أحكم الإمام مالك رضي الله عنه حين قال لأبي جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ : « إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم ، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة » .

كما أنه ليس من العيب الخلاف ، ولكن العيب في التعصب للرأي والحجر على عقول النـاس وآرائهم « وبفضل الله هـذه النظرة إلى الأمـور الخلافيـة (في الفروع) جمعت القلوب المتفرقة على الفكرة الواحدة » .

ثم يقول رحمه الله في الأصل السادس :

« وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ» .

« وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالإتباع ، ولكن لا نعـرض للأشخـاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا » هذا أحد الأصول وفيه بيان لمنهج الإخوان . أما ما ذكره الأستاذ سعيد حوى فيما يتعلق حول هـذا الموضـع فهو لا يتعـدى صفحـات معـدودة من كتـاب حـزب الله ، وهي الصفحات الواقعة من ص ١٧ ـ ١٣٩ من كتاب تعداد ورقة ٤١٩ صفحة والتي يدندن حولها المخالفون ، فليس فيها من التعصب نصيب .

يقول الشيخ سعيد حوي :[1] المسلمون قسمان :

---

(١) في كتابه « جولات في الفقهين الكبير والأكبر » وهو مُتأخر على كتابه « حزب الله » ص ٦١ يقول :
(والناس في الأحكام العملية التي هي مدار علم الفقه ثلاثة أقسام :

ـ قسم لا يستطيع أن يتعرف على حكم الله مباشرة من الكتاب والسنة ، وإن تعرف على بعض فقد لا يستطيع الكل وقسم يستطيع ، وقد أوجب الله على الأول أن يسأل ويأخذ عن الثاني ، وأوجب على الثاني ، أن يبين .

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[2] .

وبهذا يقول الأستاذ البنا رحمه الله في الأصل السابع « ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين[3] ، ويحسن به مع هذا الإتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر » .

وهذا مجمل كلام السلف رضوان الله عليهم حول هذه المسألة . . فهم يجيزون للعامي التقليد ولا يجيزونه للعالم ، وفي بيان ، وقد وضحنا ذلك في القسم الأول .

= (أ) إنسان وصل إلى الإجتهاد .

(ب) وإنسان عالم بمصادر القول وموارده ولم يصل إلى رتبة الإجتهاد .

(جـ) وإنسان عامي عادي .أما الأول فمكلف في السير على ما يوصله إليه إجتهاده وأما الثاني فمكلف أن يسير على رأي من اقتنع أن معه الحق من الأئمة وأما الثالث فله أن يتابع أي إمام من الأئمة ممن سأله فأفتاه فله أن يعمل بفتواه إن كان من أهل الفتوى والهدى ،ومن ثم قال العلماء : العامي لا مذهب له، وقالوا :العامي مذهبه مفتيه) .

(١) سورة الأنبياء/ ٧ .

(٢) سورة النساء ٨٣ .

(٣) يقول ولي الله الدهلوي في رسالته « الإنصاف في بيان أسباب الإختلاف » : (إن هـذه المذاهب الأربعة المدونة قد إجتمعت الأمة أو من يعتد به منها على جواز تقليدها إلى يومنا هذا وفي ذلك من المصالح مالا يخفي) .

قالوا : إن الإخوان يرون التجمع العددي مع وجود الاختلاف الفكري .

فالرد وبالله التوفيق: كان ولا يزال فكر الإخوان موحدا ، وذلك لأنهم يرون أن وحدة الفكروالمنهج تؤدي إلى وحدة المواقف ، سياسة أو غيرها . وخطأ أن نقول إن الأخوان يرون التجميع القطيعي لرجل الشارع أو غيره وتضخيم العدد على حساب النوع والمستوى ، بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ولو كان أروع الدعاة فهما للإسلام وعقيدته وأنظمته ، وأكثرهم قراءة للكتب ، ومن أشد المسلمين حماسة ، وأخشعهم في الصلاة . والإخوان لا يبالغون بهم ـ وهم بهذه المزايا ـ إلا أن يقبلوا التقيد بخطط الجماعة والسعي لإقامة أهدافها ، وهي إقامة دولة الإسلام ، ذلك فضلا عن المتحرفين والغافلين وغيرهم . وهذا الأستاذ رحمه الله يعلنها داوية مجلجلة (**إن أبيتم إلا التذبذب والإضطراب والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة ، « وما النصر إلا من عند الله**) فبين رحمه الله مفاصلة الأسلوب ومنهج العمل مع الواهمين والمتذبذبين ، وعلى هذا ـ فالإيمان وفقة الدعوة ، وشدة الإنغماس في العمل التجميعي والتربوي ووضوح الطاعة ـ هي المحكمات التي تتحكم في عملية الإنتقاء ، لاشروط الوظائف الحكومية والشهادات العالية وأعراف المجامع الأدبية . ثم بعد الإنتقاء الجيد تكون التربية الصلبة التي تنتج الثقات من رجال الدعوة الذين يتحملون ثقل العودة إلى حكم الإسلام وسيثبتون على الحوادث الهازة الخاضة المقدرة عند الله التي لا يثبت فيها إلا الصادقون[1] .

المواقف السياسية التي تتخذها الجماعة :

وهذه من الأمور التي يكثر فيها صيد الباحثين عن صديد المسلمين ، فالقول فيها وبالله التوفيق :

(١) من كلام الأستاذ حسن البنا رحمه الله في رسالة ـ إلى القلب .

إن الأمـور السياسيـة التي تتخذهـا القيادات في حقيقتهـا : تفضيل بـين المصالح ، وإتباع لقاعدة الفقهاء في الحرص على أكبر المعروفين عند تعارضهما ولو بتفويت أدناهما ، وإحتمال أيسر المفسدتين المتعارضتين لإبعاد أعظمهما وأكبرهما . ولقد أطال الإمام ابن تيمية رحمه الله النفس في بيان هذه القاعدة وتصويبها والأمر بالعمل بها ، حتى إنه أفتي في هذا الباب بافتاءات يظنها من لايعرف السياسة غريبة معيبة ، وأغلب هذه المواقف المنتقدة على هذه الحركة مخرجة على هذه القاعدة في الموازنة بين مراتب المعروف والمنكر ودرجات المصالح والمفاسد ، فما من تعاون مع حزب معيب أو تصريح بثناء على فعلة حسنة من حاكم لم يتم إسلامه أو ماشابه ذلك ألا وللقيادات فيها تأويل مستخرج وفق هذا الإفتاء . ولا يدعي الإخوان أن كل هذه التصرفات المعتمدة على هذه القاعدة كانت صوابا دوما في نتائجها فإن ذلك ليس ركنا في توثيق المسلم إنما يجتهد في باب السياسة كما في غيرها فيصيب ويخطيء تبعا لمدى فراسته وطول تجربته ، إنما الركن المهم هو أن هذا التأويـل والاجتهاد يستند إلى أقوال في مذاهب أعيان الفقهاء القدماء .

كما أنه لايمكن للقيادات على طول الخط أن تكشف حوارها حين تقرير مثل هذه الخطوات القائمة على الموازنة بين المصالح والمفاسد ، وذلك لأنها قد تعتمد على أسرار لايسوغ كشفها أو تبريرات مضمرة لاتريد أن يتسـرب علمها إلى أعـداء الإسلام فيحورون خطتهم العدائية تبعا لذلك[1] .

---

(١) العوائق محمد أحمد الراشد ص ٣٢٣ كما أنه يراعى عادة في إتخاذ المواقف السياسية أموراً كثيرة منها على سبيل المثال :

(أ) مراعاة الظروف السياسية والإجتماعية والحركية ودراستها قبل إصدار أي موقف يتعلق بأمر الواقع .

(ب) إدراك أن الأنظمة متفاوتة في تصرفاتها وآرائها ومعتقداتها ، وقربها أو بعدها عن الإسلام ، ومن ثم فالحكم عليها وإتخاذ المواقف تجاهها لابد أن يختلف من نظام لآخر .

(جـ) أن قدرة الجماعة وقدراتها كما ونوعا تراعى قبل إتخاذ أي موقف تجاه أي أمر . =

هل جماعة الإخوان المسلمين هي جماعة المسلمين :

من المطاعن التي يتبجح بها أصحاب الكيد والتفريق بين المسلمين أنهم ينسبون إلى الإخوان قولهم بأنهم جماعة المسلمين ويقولون : بأن ذلك مبثوث في كتبهم (مشكلات الدعوة والداعية ، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ، المدخل ، الجولات . . . إلخ) وحول هذه القضية لن أطيل الرد بل سأورد أشد العبارات في هذا الموضوع وهوقول الأستاذ سعيد حوى حفظه الله « إن الإخوان جماعة كاملة للمسلمين » وهذه العبارة عند قراءتها القراءة الصحيحة نجدها تبين أن الإخوان جماعة كاملة من حيث الشمول ، حيث إن هناك فرقا بين التعريف والتنكير[1] فالجملة نكرة أي إن الإخوان جماعة كاملة وهذا لاينفي أنه قد تكون هناك جماعة كاملة غيرها ، وهذه النظرة ينظرها كل صاحب حركة لحركته وإلا لما انضم فيها ، لأن العاقل قبل انضمامه يبحث عن الأقرب للحق والصواب ثم ينضم ، وهو في هذه العبارة لايكفر ما عداه من العاملين في الحركة الإسلامية ولا يصفهم بالهلاك ولا يتهم من لم يأت معه بالخروج والمروق عن جماعة المسلمين ، كما يقول البعض في تعيين جماعته بأنهم هم الفرقة الناجية . ولذلك قال الشيخ حسن البنا رحمه الله في التعامل مع الأخرين من أصحاب الحركات الإسلامية : **« ونلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ، ونرى أن هذا الخلاف لايكون أبدا حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير**

= (د) أن المواقف السياسية عبارة عن إجتهاد قد تصيب فيه الجماعة وقد تخطيء وهي مأجورة على ذلك إن شاء الله ، ومن ثم لا تنتقد الجماعة إن اجتهدت وأخطأت بعد بذل الوسع والجهد ، كما الفقيه إن إجتهد وأخطأ فله أجر على اجتهاده .

(١) فالجماعة التي ورد ذكرها في « أحاديث جماعة المسلمين » قد وردت معرفة بأل العهدية والعلمية ، كما أنه من الملاحظ أنه قد تم فصل وكيل الجماعة في وقت الإمام البنا رحمه الله وكذلك بعض أعضاء مجلس الشورى ، ولم يكن أحدهم قد إرتكب ما يُخرجه من الملة فهل بفصلهما يخرجان من الملة ؟!! هذا مالا يقوله أحد .

وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته) ثم قال عن المتحاملين على أصحاب الحركة : « **وإما شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبه فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك،ويأبي إلا أن يلج في غروره ويسدر في شكوكه ويظل مع أوهامه فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا إجتنابه وأن يهدينا وإياه الرشد . ندعوه إن قبل الدعاء ونناديه إن أجاب النداء وندعو الله فيه وهو أهل الرجاء فالإخوان يقرون أن الإجماع على أمر فرعي متعذر .**

فيقولون : إن الخلاف في فروع الدين أمر لا مفر منه لذلك لايمكن أن نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عديدة منها .

١ ــ إختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه ، وإدراك الدلائل ، أو الجهل بها وارتباط الحقائق بعضها ببعض .
٢ ــ سعة العلم وضيقه ووصول الأدلة لإنسان دون الآخر .
٣ ــ اختلاف البيئات حتى أن التطبيق يختلف باختلاف كل بيئة .
٤ ــ اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية فهذا الراوي ثقة عند فلان ومجروح عند آخر .

والداعي إلى الله يلتمس العذر لمن يخالفه في بعض الفرعيات ، ويرى أن هذا الخلاف لايكون أبدا حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير وأن يشمله وإياهم معنى الإسلام بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته .

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ كان يخالف بعضهم بعضا في الإفتاء فهل أوقع ذلك اختلافا فيما بينهم في القلوب ؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم « اللهم لا وما حديث صلاة العصر في بني قريظة ببعيد !! »[1] .

---

(١) مجموعة الرسائل ، حسن البنا ، مؤسسة الرسالة ص ١٢٨ .

خاتمة القسم الثاني
شبهات وردود

وفي الختام أقولها متألما ما كان الداعية ليُمسك بالقلم إلا ليقوم بإمتاع الأذهان وبطرب الأسماع بما لذ وطاب من ثمار الأطهار الأطياب الذين جاهدوا وقالوا وعملوا ولم يهتموا بالسراب . . . ولكن ما كان لي من حيلة بعد أن توالت الطعنات لتحدث من الآلام والويلات في طريق وحدة الجماعات ، إلا أن أكتب هذه الصفحات التي لم يكن قصدي فيها أن أستقصي جميع الطعنات والشبهات ، بل أن أقوم بتسطير مجموعة من القواعد تكون أصولا لمن أراد أن أن يدفع عن خاطره أوهام الأنام ، وتلبيس أهل الدس من الناس . . . لعلي بذلك أكون قد نصرت الحق فيما أعتقد ، والله يهدي إلى الطريق المستقيم .

والحمد لله رب العالمين

أمنيات على الدعوة الإسلامية

ـ مقدمـــة ـ

المُنى : بضم الميم جمع المُنية ، وهو ما يَتَمنَّى الرجل ، والأُمنيّة أُفعولةٌ وجمعها الأماني ، وهو حديث النفس بما يكون وبمالا يكون ، كما أنه تَشَهِّي حُصُولِ الأمر المرغوبِ فيه مع السؤال للرب في الحوائج[1] وعلى ذلك ما أذكره في هذه الورقات هو سؤال الله تعالى القدير ، وتذلل ببابه أن تتحقق أماني الأمس كما قال الإمام حسن البنا رحمه الله « أمانيُ الأمس حقائق اليوم»،وذكرى لهذه الأمور لا يعني أنها غير متحققة بل قد تكون موجودة فأدعو الله أن تتأصل ، وقد تكون في بداياتها فأدعو الله الاستمرار فيها ، كما أن هذه الوقفات هي تعبير عن دخول دار الخلوة ساعة ومُشاورة نصيح الفكر،وتلميح تفريط الكسل في بضاعة القمر ، وعدم احتقار يسير الخير ، فالذود إلى الذود إبل ضلت ، والذي يتلمح حلاوة العواقب ينسى مرارة الصبر .

(١) لسان العرب مادة « مني » ٣/ ٥٣٩ دار لسان العرب .

الأمنية الأولى

حسن البنا[1] الإمام منهج في دعوة الإسلام

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

يقول الإمام أبو محمد التميمي : يَقْبُحُ بكم أن تستفيدوا منا ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا أ. هـ.[2] .

أ ــ نبذة عن تأسيس الجماعة :

في ذي القعدة من عام ١٣٤٧ هـ وفي مدينة الاسماعيلية تأسست جماعة الأخوان المسلمين ، بعد اجتماع في منزل مؤسس الجماعة ومرشدها الأول الإمام حسن البنا رحمة الله تعالى عليه ـ ضم هذا الاجتماع ستة من الذين سمعوا خطب الشيخ وتأثروا به ، وفي هذا الاجتماع تبايع السبعة على أن يحيوا إخوانا عاملين للإسلام ومجاهدين في سبيله .

ب ــ نبذة عن حياة مؤسس الجماعة :

ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين : هو الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا .

ولد عام ١٩٠٦ م في المحمودية بمصر في بيئة اسلامية حيث كان على رأس أسرته والده وهو أحد العلماء المشهورين في عصره .

درس حسن البنا دراسته الابتدائية في قريته ، وفيها حفظ أكثر القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى مدرسة المعلمين بدمنهور ، ثم تخرج من دار العلوم بالقاهرة معلما عام ١٩٢٧ .

وبعد عمر حافل بالعمل للإسلام ، والدعوة إليه لقي الإمام حسن البنا ربه شهيداً في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ م . عن الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

(٢) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ص ٤ .

هذا هو الأدب مع أصحاب الدعوة قادة الأمة ، وما ذاك إلا لأنهم منارات خير إستضاء بها خلق كثير . ودعوة الإمام حسن البنا من هذه المنارات ، وبهذا يقول الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله عن هذه الحركة المباركة :ـ

« إن دعوة الإخوان المسلمين لم تعد دعوة محلية في حدود وطن صغير ، وإنما غدت دعوة عالمية تشمل العالم الإسلامي بأسره ، وتوقظ في المسلمين روح العزة والكرامة والتقوى ، فهي اليوم عنوان انبعاث لا نوم بعده ، وتحرر لا عبودية معه ، وعلم لا جهل وراءه . ولم يعد من السهل على أية طاغية أن يحول دون انتشار هذه الروح أو امتدادها وما ذلك إلا لأنها تعبير صادق عن شعور عميق يملأ نفوس المسلمين جميعا ، ويستولي على مشاعرهم وعقولهم ، وهو أنهم لايستطيعون اليوم نهضة بدون الإسلام ، فالإسلام في حقيقته ضرورة وطنية واجتماعية وإنسانية »[1]

فهذه المسيرة وهذه الحركة العجيبة لم يتبق أحد اليوم إلا واستفاد منها فعلى سبيل المثال نذكر هذه المقابلة التي أجراها أحمد محمد عبدالرحمن مع الشيخ طه السماوي [2] حيث سأله عن الشخصية التي تأثر فيها ؛أجاب بأنه تأثر بالإمام حسن البنا فقال : « عندما سمعت بأحاديث الناس عنه وما حُكي لي عنه وعن جهاده في سبيل نشر دعوة الإسلام في كل قرية من قُرى مصر ، وما تحملهُ في سبيل ذلك من مشقة وجهد ، وما تحلى به في سبيل ذلك من صبر وحلم حتى انتشرت الدعوة في كل شبر وبقعة في جميع أنحاء مصر[3] » . **وبعد هذه الاستطرادة نقول تمنياتنا على الحركة أن تتبنى بخطى جدية منهجية هذا الرجل والتي أذكر منها على سبيل المثال : ـ**

---

(١) حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية ص ٩ ـ ١٠ .

(٢) أحد زعماء الجماعات الاسلامية في مصر .

(٣) منار الإسلام مجلة إسلامية شهرية تصدر عن وزارة الأوقاف بدولة الامارات ، العدد السادس السنة الحادية عشرة جمادي الثانية سنة ١٤٠٦هـ .

١ ـ التتبع الدقيق لأمور الشرع والتورع عن ورود الشبهات :

وبهـذا يُحدثنـا الأستاد عباس السيس[١] فيقول :ـ

عصر ذات يوم ، فوجئنا بحضور فضيلة المرشد إلى الاسكندرية ، وقال : إنه جاء تلبية لدعوة علي باشا ماهر لحضور حفل زفاف إبنه ، وكلف فضيلته أحد الأخوة الذين رافقوه ليذهب إلى الحفل ، فإذا لم يجد فيه أي مخالفة شرعية اتصل بالأستاذ تليفونيا حتى يحضر ، وإذا وجد ما يسبب أي حرج قام هو بالواجب ، وانتظر فضيلته فترة من الوقت فلما لم يتم الاتصال التليفوني قال : ألا يوجد أحد من إخواننا عنده أي مناسبة ؟ قلت له : إن الأخ محمد خليل شرف الدين سيعقد قرانه الآن في منزل أصهاره بشارع الميناء الشرقية ـ فقال هيا بنا ، وكلفني بشراء هدية ، وركبنا إلى المنزل وأدركنا الحفل واستقبلنا استقبالا حارا مفرحا حيث كانت مفاجأة أضفت على الحفل وقارا وسرورا . . وتحدث الأستاذ حديثا خفيفا وهنأ الأسرتين ودعا للعروسين » .

٢ ـ البساطة في المظهر والثقة بالنفس :

يقول الكاتب الأمريكي « روبير جاكسون » عن الإمـام حسن البنا : . . لفت نظري إلى هذا الرجل سمته البسيط ، ومظهره العادي ، وثقته التي لا حد لها بنفسه ، وإيمانه العجيب بفكرته[٢] .

ولثقته بنفسه كان يهتم ببناء الرجال فيقول جاكسون في هذه القضية : « وقد أتيح لي أن ألتقي بوالده الوقور ، الشيخ عبدالرحمن البنا ، وسمعته يتحدث مع بعض الأخوان ، أنه كان يتمنى لو أن ابنه وضع الكتب في أمر الإسلام واكتفى بذلك ، وقد رَدَّ عليه الأستاذ البنا بأنه منشرح الصدر لمعالجة الإسلام عن طريق

---

(١) حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية ص ١٦١ .

(٢) حسن البنا الرجل القرآني ص ٧ بقلم روبير جاكسون ترجمة أنور الجندي .

تآلف الرجال[1] ، وهذا الحرص على بناء الرجال جعل من قلبه مرجلا يغلي ولهيبا يضطرم، وإن كان حين تلقاه يبدو هادئاً غاية الهدوء ، ومع هذا الحرص على تجميع الرجال لم يتخل عَنْ أخلاقه ، يقول جاكسون :

كان مذهبه السياسي أن يرد مادة الأخلاق إلى صميم السياسة بعد أن نزعت منها ، وبعد أن قيل أن السياسة والأخلاق لا يجتمعان .

وكان يريد أن يكذب قول تاليران : « إن اللغة لا تستخدم إلا لأخفاء آرائنا الحقيقية » فقد كان ينكر أن يضلل السياسي سامعيه أو أتباعه ، أو أمته . وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ، ورجل الشارع ، فوق خداع السياسة ، وتضليل رجال الأحزاب[2] .

ومع الظلام السياسي والجهل الديني الذي كان في زمانه إلا أنه كان على ثقة بنصر الله ولنستمع إليه وهو يحدث جاكسون عن عودة الإسلام إلى الحكم :

« وحدثني الرجل القرآني عندما أخذت أراجعه رأيه في صبغة الإسلام للشرق .

قال : أضرب لك مثلا بتركيا : أنها ستعود إلى الإسلام وأن عوامل ذلك العود قد تبدت منذ الآن .

كان هذا الحديث بيني وبينه عام ١٩٤٦ وقد لاحظت في السنوات التالية ما تحقق من قول حسن البنا في مايو ١٩٥٠ بعد أن مضى الرجل إلى ربه حيث هزم حزب مصطفى كمال وانتصر الحزب الذي كان يقال عنه أنه رجعي [3] .

---

(١) نفس المرجع ص ٩ ـ ١٠ .
(٢) نفس المرجع ص ١٢ .
(٣) الرجل القرآني ص ٢٨ .

٣ ـ الجد بالحركة وعدم المساومة في الدين والفكرة :

يقول جاكسون : وحاول الانجليز أن يقدموا عروضا سخية . . فرفضها الرجل في إباء . . ونامت الأحزاب في انتظار الهدنة ، وظل الرجل الحديدي الأعصاب يعمل أكثر من عشرين ساعة لا يتعب ولا يجهد ، كأنما صبغت أعصابه من فولاذ .

لقد كان يحب فكرته حبا يفوق الوصف ، ولم يكن في صدره شيء يزحم هذه الدعوة . كان يعشق فكرته كأنما هي حسناء ! لا يجهده السهر ، ولا يتعبه السفر وقد أوتي ذلك العقل العجيب ، الذي يصرف الأمور في يسر ، ويقضي في المشاكل بسرعة ويفضها في بساطة ، ويذهب عنها التعقيد [1] .

٤ ـ التميز بالشخصية القيادية :

يقول جاكسون : لقد كانت شخصية حسن البنا جديدة على الناس , , عجب لها كل من رآها واتصل بها . . كان فيه من الساسة دهاؤهم ، ومن القادة قولهم ، ومن العلماء حججهم ، ومن الصوفية إيمانهم ، ومن الرياضيين حماسهم ، ومن الفلاسفة مقاييسهم ، ومن الخطباء لباقتهم ومن الكتاب رصانتهم .

ولم يكن الغرب ليقف مكتوف اليدين ، أمام مثل هذا الرجل . . الذي أعلى كلمة الإسلام على نحو جديد . . وكشف لرجل الشارع حقيقة وجوده ومصيره وجمع الناس على كلمة الله . . وخفت بدعوته ريح التغريب والجنس ونزعات القومية الضيقة . . واعتدلت لهجات الكتاب ، وبدأ بعضهم يجري في ركب « الريح الإسلامية »[2] .

---

(١) حسن البنا الرجل القرآني ص ٢٧ .
(٢) نفس المرجع ص ١٩ .

كان الناس يرونه غريبا في محيط الزعماء ، بطابعه وطبيعته ، فلما مات كان غريبا غاية الغرابة في موته ودفنه ، فلم يصل عليه في المسجد غير والده وحملت جثمانه النساء ولم يمش خلف موكبه أحد من هؤلاء الأتباع الذين كانوا يملأون الدنيا لسبب بسيط هو أنهم كانوا وراء الأسوار .

لقد نقل الرجل بعد أن أسلم الروح إلى بيته في جوف الليل ومنع أهل البيت من اعلان الفاجعة ، وغسله والده ، وخيم على القاهرة تلك الليلة كابوس مزعج كئيب ، ولقد كان خليقا بمن سلك مسلك أبي حنيفة ومالك وابن حنبل وابن تيمية مواجهة للظلم ومعارضة للباطل ، أن تختتم حياته على هذه الصورة الفريدة المروعة التي من أي جانب ذهبت تستعرضها وجدتها عجيبة مدهشة[1] .

٥ ـ حبه لدعوته :

كان رحمه الله يتميز بشغفه بدعوته ، وإيمانه وإقناعه بها ، وتفانيه فيها ، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه ، وطاقاته ووسائله .

وهذه السمة بلا شك من السمات الرئيسية للدعاة والقادة الذين يجري الله على أيديهم الخير الكثير ، ولذلك نرى تأثيره العجيب رحمه الله في نفوس أصحابه وتلاميذه وعمقه التربوي في الجيل الذي أنشأه وبهذا يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

حينما سلط الطغاة الأقزام الحديد والنار على الإخوان كان الوقت قد فات ، وكان البناء الذي أسسه حسن البناء قد استطال على الهدم ، وتعمق على الاجتثاث ، كان قد استحال فكرة ، لا يهدمها الحديد والنار . . . ، واستعلت

---

(١) نفس المرجع ص ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) دراسات إسلامية لسيد قطب ص ٩٧ .

عبقرية البنا على الطغاة الأقزام ، فذهب الطغيان وبقي الأخوان ، ونختم أمنيتنا لنقول : ـ

هذه بعض الملامح في شخصية رجل الدعوة ، ومثلها كثير ، ولكن عجز الكثير عنها مع طول الأمد ، وقلة اليقين ، لذلك نتمنى ونؤكد على أُمنيتنا أنه لابد من دراسة سيرة رجل الدعوة الحركية للاستفادة ، فمن الخطأ أن ينتسب الإنسان إلى شيء ثم يُسيء إليه بإعطاء صورة تخالف الصورة الحقيقية لرجل الدعوة المنتسب إلى هذه الحركة ، وذكرنا لهذه الأمنية ناتج من رؤيتنا لعناصر متعددة ومن جنسيات مختلفة تنتسب لهذه الحركة اسما وتخالفها فهماً وسلوكاً وتربية وحركة .

الأمنية الثانية

تأصيل أعمق لعمل أدوم

نؤكد على أن تجعل الجماعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ) وعمل السلف الصالح مرجعها ، وإليه تحتكم في كل خطواتها ، أمر أقامت به الحجة على كل مسلم بأنه لا يحق له أن يتحرك في دعوته إلى الله في غير إطارها ، لأن كل مسلم مطالب بأن يحتكم في كل حركة وسكنة في حياته إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، وعلى ذلك لابد أن تكون لكل حركة من حركاتها منظور شرعي تلتزم فيه ، فالقيادة التنفيذية لا تتخذ قراراً أو خطوة إلا بعد معرفة رأي القيادة الشرعية - إن صح التعبير - .

الأمنية الثالثة

خطوات ثابتة في طريق طويل

على الحركة أن لا تعتسف الطريق وتتعجل الخطوات وتدخل في صراعات ومواجهة مع الباطل قبل أن تتميز ويكون لها كيان حقيقي ، فتعمد إلى التركيز في التحرك والابتعاد عن التشعب المهدر للطاقات المكثر للأعداء ، فتعسف الخُطى من الأسباب التي أخرت النصر عن كثير من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية .

الأمنية الرابعة

اعتصام دائم نصرٌ واضح

على الحركة الإسلامية أن تستيقن أن النصر لا يمكن أن يتحقق من خلال جماعة معينة بذاتها ، بل لابد للنصر من إلتحام مزدوج للجماعات الإسلامية العاملة تتوحد فيما بينها ثم تلتحم هذه مع قطاعات الشعب المختلفة فيكون بعد ذلك النصر إن شاء الله .

الأمنية الخامسة

دقة في التقييم صحة في النتائج

الجماعة الإسلامية تحتاج في مسيرتها إلى تقييم الحركات الإسلامية التي تعمل معها حتى تستطيع التأكد من أن خطواتها في مكان آمن ولذلك لابد لها من مرتكزات تقيم عليها عملية التقييم وسأذكر منها على سبيل المثال :

١ ــ إن الجماعة توزن بالإسلام من حيث أهدافها ، ووسائلها وأفكارها .

٢ ــ أنه لا يحكم على الجماعات الإسلامية من خلال تصرف من تصرفات بعض أفرادها ، أو خطأ وقع فيه بعض أفراد تلك الجماعات ، ولكن من خلال دراسة مستوعبة لغايات ووسائل وأفكار نفس الجماعة ، وذلك لأن الفرد بطبيعة حاله لا يكمل في يوم من الأيام فهو قاصر بطبيعة خلقه ، بل إن مجتمع النبي ﷺ وهو قرن الخيرية كانت فيه الطبيعة البشرية الخاطئة واضحة .

٣ ــ إن التعميم في أكثر أحواله يؤدي إلى الخطأ .

الأمنية السادسة

دراسة لعوائق الطريق من خلال الواقع

ليس من شك أن السائر في الطريق سيجد عوائق هي من مستلزمات الطريق أو من طبيعة السائر والسالك ، وهذا لا إشكال فيه ، ولكن الإشكال أن يأتي من يسير على نفس الطريق ثم لا يتقي هذه العوائق ، والأصل بالمؤمن أن لا يلدغ من جحر واحد مرتين ، وعلى ذلك كان لابد لحركة الإخوان من دراسة تقييمية لمسيرتها تؤكد على الصواب وتتجنب الخطأ ، وعلى سبيل المثال لابد للحركة من دراسة لعائق الانشقاق الذي حصل للحركة في زمن الإمام البنا ، ومعرفة أسبابه ونتائجه لتلافيه في بقية الطريق ونذكر للدراسة على سبيل المثال :

١ ــ انشقاق في الإسماعيلية عندما انتقل المرشد للقاهرة (إنتخاب خليفه لـه) الشيخ علي الجداوي .
٢ ــ انفصال مندوب شعبة الإخوان بالقليوبية محمد أفندي ومعه أخرون (فصلوا بقرار) .
٣ ــ إنشقاق سنة ١٩٣٩ (تكوين جماعة شباب محمد) .
٤ ــ إنشقاق أوائل ١٩٤٧ (نائب الجماعة أحمد السكري) ومن سقطو معه .

الأمنية السابعة
وضوح أكثر اختلاف أقل

من الواضح جداً أن الحركة في أول أمرها واتصالها بمؤسسها مباشرة أقـل اختلافاً عنها بعد تشعُبها وكثرة أنصارها واختلاف مدارسهم وطول المدة واختفاء جيل التأسيس ، ولذلك كان لابد للحركة بعد مضي خمسين عاما على تأسيسها أن تُنظر في أصولها وموازينها وأعرافها وتحددها أكثر ، وتوضحها وتبينها حتى لا تجتمع المُتناقضات وتلتقي اللامعقولات فتختلف وتنفجـر في أوقات الفتن والعـواصف والملمات ، فعلى سبيل المثال لابد من توضيح الحركة لرأيها في الأمور التي تأصل الاختلاف فيها وأصبح لا يكفي للحسم فيها مـا ذُكر في الأصـول العشرين من تأصيل علمي عام كان يكفي للحسم في وقت جيل التأسـيس ، أما الآن « فكل يدعي وصلا بليلى » وكل أخ يأخذ من الأصول ما يُدعِم رأيه وينسبه إلى مدرسة الامام حسن البنا ، وقد يكون الأصل الواحد يدعي كل من المختلفين أنه يُدعم رأيه ، ولست بحاجة لذكر الأمثلة ، ولكني سأعمد إلى ذكر بعض المسـائل التي طفحت على السطح وأصبح الاختلاف فيها واضحا ، فلزم على قيادة الحركة أن تحسم في الأمر بعد دراسة علمية ومشورة إسلامية : ـ

١ ــ النظرة للحكومات القائمة وكيفية التعامل معها على التحديد والتعيين بعيدا عن الهيلامية والتعميم .

٢ ــ مسألة المذهبية والتقليد والاجتهاد والاتباع وغيرها من الفرعيات التابعة لهذه المسألة .

٣ ــ مسائل العقيدة التي تشغل الشباب اليوم كمبحث الأسماء والصفات ، ومبحث التوسل وما يتعلق به ، وحقيقة الفرق المنتسبة للإسلام وكيفية التعامل معها .

٤ ــ مباحث التجديد وما هو مقبول منها وما هو مردود ، وما هي الأصول التي لا مجال للتجديد والبحث فيها وما هي الفروع التي يسع المجدد أن يتحرك فيها .

٥ ــ حقيقة الانتماء إلى الحركة ومن هو الذي في صف الجماعة له حقوق وعليه واجبات وله النصرة والولاء ، ومن هو مع الجماعة فكريا وروحيا فقط وهل لهذا حقوق وعليه واجبات .

وغير هذا الذي ذكرنا مما تستطيع الجماعة أن تصل إليه من خلال دراستها لواقعها .

الأمنية الثامنة
مؤسسات أقوى انتاج أفضل

إن الاتساع العددي للأفراد والكمي للمساحة لحركة الإخوان ، يجعل تحت أيديها طاقات مُتميزة في جميع المجالات والتخصصات مما يُتيح لها أن تنتقي من العناصر كما يُنتقى أطايب الثمر من الشجر ، ثم إن الاحتياج العام وصعوبة المعركة التي تخوضها الحركة تستلزم بناءً مؤسسا متماسكا يشد بعضه بعضا كالبنيان يُعجب الزراع ليغيظ الحاسدين للعاملين مع الشباب والنشء ، ولقوة المواجهة أصبح ما من بُد من تغيير أهل الثغور ، فبدل أن يكون البطل فردا تكون المؤسسة ، التي

بمجموع أفرادها تصنعسدا منيعاً ،فالإعانة بالقوة أوجدت سداً منع يأجوج ومأجوج وهكذا العصى إذا اجتمعن أبين تكسرا . وهنا على سبيل المثال نتمنى ونسأل الله أن يعين من بيده توجيه الطاقات أن يؤكد تأكيداً عملياً على المؤسسات التالية :

١ ــ المؤسسة التربوية التكوينية .

٢ ــ المؤسسة الثقافية العلمية .

٣ ــ المؤسسة السياسية الاجتماعية .

٤ ــ المؤسسة الاقتصادية المالية .

٥ ــ المؤسسة القضائية الدستورية .

وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها الآن أفراد منتشرون هنا وهناك على أن تكون لهذه المؤسسات الدور الإيجابي العملي من حيث رصد الميزانيات وتحديد استراتيجية العمل ورسم سلم الأولويات مع إعطاء نتاجها العملي النسبة الكبيرة من حيث التنفيذ وعدم استهجانه واستصغاره ، فإن كان في البداية بسيطا ساذجا فسيكون في النهاية عميقا ظاهرا ، فالرجل الكبير لابد أن يكون صغيراً حتى يكبر ، ثم أن ذلك يستدعي أن يكون اختيار عناصر هذه المؤسسات مراعى فيهم جميع الشروط القيادية .

الأمنية التاسعة

رصدٌ جيد مفاجآت أقل

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1]

الدعوة الإسلامية كالشامة البيضاء في الثور الأسود يُلاحظها الجميع فينقسمون بعد ذلك بين ناصر ومعجب وحاسد ، وما أكثر الحاسدين في زماننا

---

(١) الأنعام آية ٥٥ .

هذا ، لهم قلوب شتى ، وصور مختلفة ، يتقاتلون فيها بينهم ، ويجتمعون على عداوة ديننا ، فيرموننا من صعيد واحد ، يبحثون عن مقتلنا ، هدفهم القضاء على الإسلام ، دينهم تعبيد الناس لأمثالهم من الناس ، أشكالهم مختلفة ، أثوابهم متلونة ، طرقهم ملتوية ، أسماء شتى ، أهداف واحدة ـ ماسونية ماكرة ، شيوعية باطشة ، رأسمالية ماجنة ، باطنية خافية ـ العالم يئط من كثرة الأحزاب كل قد أخذ أهبته ، وأخرج سيفه من غمده ، لسان حاله يصرخ ويقول :

« **امنعوا دولة الإسلام ولو في أقصى الشمال أو أطرف الجنوب** » هذا هو الواقع الذي تعيش فيه الدعوة الإسلامية ، وعلى ذلك فأمنيتنا أن تقوم أجهزة في الدعوة الإسلامية ليس لها من العمل إلا رصد أولئك الحاسدين الماكرين ، ودراسة أدواتهم التدميرية التي يستخدمونها من خارج الدعوة أو من داخلها ، فيعرفوا مواطن الخطر ، وأقدام الماكرين قبل وقوعها فيصيحوا بإخوانهم مُحذرين :« **لا يُحطِّمَنّكم الماكرون بخططهم** » فيطيروا بأجنحة الحذر ، فيصلوا إلى قمم النجاة ،

وما أشق السفر في الأرض المُسبعة ، هذا هو طريق السالكين في جادة المرسلين ، وإلا فطويل رقاد ، ونوم أهل كهف في سبات لا يُزعجهم صوت العادي ، ولا يؤلمهم سوط الماكر ، فتتكرر الملمات وترجع الظلمات ، ويُعض أصبع الندم ولا ندم .

لهفي على غفلات أيامٍ مضتْ   عني وما لهفي براجع ما مضى

ولذلك نؤكد ونقول أنه ما انتقمت الدعوة من الحاسد بأعظم من تقويمها ورصدها ، وما انتقم منها بأكثر من تفريطها .

الخاتمــــة

وفي الختام نقول : ياقائماً في سوق الأرباح ماذا حصَّلْتَ من كتابنا ، يامنقطعاً في طريق الوصال هلا توصلت ، فإن الدعوة لوصلك باحتياج ، ولا ندري أخي القارىء وأنت في قراءتك لكتابنا أتراك اشتغلت بنا أو عنّا ، هـل ماء تـوحيدك وعلمك في قليب قلبك بلغ القلتين ، وهل فكرت وأنت في رحيلك في الكتاب أن تتشاغل بالتزود منه لمسيرتك مع إخوانك في ركاب الدعوة ، وأحذر أخيراً أن أرض قلبك مشحونة بشوك الذنوب فلو قد سلمتها إلى الزارع[1] لرأيتها قد تغيرت .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾[2] ، وإياك والعجز والتواني فـإن منهما نتجت الفاقة ، وكان السلف رضوان الله عليهم إذا سمعوا موعظة غرست لهم نخـلة العزائم .

فإلى عمل جاد بعيدا عن الترهات والعوائق عماده الاخلاص ، فالعمـل صورة والاخلاص روح . واعلم أنه غلب على المُخلصين الخشوع فجاء المرائى يبهرج فقيل : مهلا فالناقد بصير ، لما أخـذ دود القز ينسـج جاءت العنكبـوت تتشبه ، فنادى لسان الحال الفارق :

أذا اشـتبـكـت دمـوع في خـدود　　تـبـيّن من بـكـى ممّن تـبـاكـى[3]

---

(١) الدعاة المخلصين .

(٢) ابراهيم آية ٤٨ .

(٣) اللطف في الوعظ ص ٢٨ .

الفهرس